الجمهوريـــــة الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــــة
وزارة التعليـــم العالـــي والبحث العلمـــي
جامعـــة قاصـــدي مربـــاح ورقلة
كلية الآداب واللغات
قـــســـم : اللغة والأدب العربي

النزعـــة الساخـــرة فـــي قصـــص السعيـــد بـــوطـــاجـــين

مذكرة من متطلبات شهادة الماجستير في اللغة والأدب العربي
تخصص : أدب جزائري معاصر

إعـــداد الطـــالبـــة :
إيمـــــــــــان طبشي

لجنـــــة المنـــاقشـــة :
أ. أحمد موساوي جامعة ورقلة رئيسًا
أ. العيد جلولي جامعة ورقلة مقررًا
د. عبد الحميد هيمة جامعة ورقلة مناقشا
د. أحمد زغب المركز الجامعي الوادي مناقشًا

الموسم الجامعي: 2011/2010

بسم الله الــرحمان الــرحيم

وَ قُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِـــي مُدْخَـــلَ صِدْقٍ وَ أَخْـــرِجْنِي مُخْـــرَجَ صِدْقٍ وَ اجْعَل لِّي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا

سورة الإسراء الآية: 80.

مقـــدمة

مقـــــــدمة:

تُعَدُّ السخرية من أغراض الأدب شعره و نثره، بل هي واقع تعبيري بين أفراد المجتمع كثيرًا ما تكون صدًى للحالة السياسية أو الاجتماعية أو الثقافية قد تنجح في تصوير هذه الظاهرة أو تلك أكثر مما يصورها الأدب العادي الجاد، لما تحويه من إضحاك و متعة، فكانت، و تظل إلـــى الآن وسيلة للشعراء و الأدباء للنيل من خصومهم كما أنها وسيلة للترويح عن النفس.

لمَّا كان السعيد بوطاجين أحد أهم و أبرز الأدباء الجزائريين المعاصـــرين الـــذين اشـــتهروا بأعمالهم وإبداعاتهم الساخرة، و لمَّا كانت السخرية هي النزعة الغالبة فـــي مختلـــف مجموعاتـــه القصصية كان هذا دافعًا لاختياري لهذه الدراسة الموسومة ب :"**النزعة الـــساخرة فـــي قـــصص السعيد بوطاجين**" و قد حصرتها في ثلاث مجموعات قصصية هي:" **ما حدث لي غدا** " و" **اللعنة عليكم جميعا** " و "**وفاة الرجل الميت** " هذا لأنها متعددة المواضيع من جهة، و متقاربة في الزمن من جهة أخرى مما يجعلها محددة، و مركَّزَة تمس جل القضايا التي عالجها القاص في فترة مـــا، بالإضافة إلى رغبة البحث في الأدب الجزائري عموما، وفي أعمال السعيد بوطاجين خصوصا.

- فما هي الأسس التي قامت عليها السخرية لدى السعيد بوطاجين ؟
- ماهي دلالاتها وأبعادها؟
- ممن سخر بوطاجين؟ كيف ذلك؟ و لماذا؟
- و ما هو الشيء الذي يمكن أن نستخلصه من كل ذلك؟

للإجابة عن تلك التساؤلات و غيرها، تكونت الدراسة من فصل تمهيدي، و فصلين تطبيقيين اثنين و خاتمة.

وقفت في الفصل التمهيدي عند السخرية، و مدلوليها اللغوي، و الاصطلاحي، و علاقتهـــا – أي السخرية– بالفكاهة، و الهجاء، و الكوميديا، و التهكم.... حيث أن كل فن من هذه الفنون قـــد يتداخل مع السخرية، و لكن يبقى لكل فن ما يميزه عن غيره، كما بينت أسباب السخرية و أهدافها عموما بالإضافة إلى أساليبها ووظائفها، و تعرضت إلى المرجعية الثقافية للسعيد بوطاجين؛ لأن لها أثر بارز في سخريته وإلى أبرز ما قيل حول النص البوطاجيني فوقفت عنـــد أبـــرز أقـــوال المعاصرين له.

أما في الفصل الأول، فقد وقفت عند مضامين السخرية في قصص السعيد بوطاجين، فقسمته على خمسة مباحث وفقا لعددها و اختلافها، فكان الأول حول المضمون الجسماني، عرضت من خلاله أبرز النواحي الجسمانية التي كانت محل سخرية لهذا القاص، و كان الثاني حول المضمون الاجتماعي الذي عرضت فيه مختلف الظواهر الاجتماعية التي سخر منها بوطاجين.

أما الثالث خصصته للمضمون الثقافي، تناولت فيه أهم المشاكل التي تحيط بالمثقف من خلالها أراد القاص أن يثبت وضعا معينا، ثم تعرضت للمضمون السياسي كمبحث رابع، خُصِّصَ جله للسخرية من المسؤولين بمختلفة درجاتهم لغرض الحط و التقليل من شأنهم من جهة و فضح الواقع من جهة أخرى، و من ثم يردّهم إلى طريق الصواب، كما خصصت آخر مبحث للمضمون النفسي، تحدثت فيه عن الظروف النفسية التي جعلته يسخر ويسخّر كل تلك المجالات لخدمة سخريته و ختمت الفصل بحوصلة الأسباب التي دفعته للسخرية، فجعلتها متنوعة تنوع المضامين ذاتها.

بينما الفصل الثاني، خصصته لأساليب السخرية في قصص السعيد بوطاجين، فقسمته إلى خمسة مباحث، تناولت في الأول الأساليب البلاغية من (استفهام، و أمر، و نفي، و اعتراض و تأكيد الذم بما يشبه المدح) و تناولت في الثاني أسلوب التصوير الكاريكاتوري، بينت فيه النواحي التي استعان بها بوطاجين في سبيل وضع هذه الشخصية أو تلك في صورة مضحكة، أما الثالث كان حول أسلوب التعريض و الرابع خصصته لأسلوب المفارقة، بينما الخامس وقفت فيه عند أسلوب التنكيت و التبكيت، و أنهيت الفصل بنتيجة مفادها أن بوطاجين يمزج في سخريته بين التلميح و التصريح.

و قد أجملت في الخاتمة النتائج التي توصلت إليها من خلال ما عرضته من نماذج، و ما اعتمدته من نصوص.

وقد استفدت من المنهج الاجتماعي من خلال تسليط الضوء على أهم الموضوعات التي سخر منها بوطاجين، وربطها بالواقع المعيش، و من المنهج النفسي؛ لأنها ذات منبع نفسي، كما أفدت من علوم البلاغة في معالجتي لبعض نصوصه الإبداعية.

هذا و اعتمدت بعد مجموعاته القصصية الثلاث على مجموعة من الكتب و الدراسات أهمها:"السخرية في الأدب العربي" لنعمان محمد أمين طه، و "السخرية في الأدب الجزائري

الحديث" لمحمد ناصر بوحجام، و النص و الظلال (فعاليات النـــدوة التكريميـــة حـــول الـــسعيد بوطاجين) وهو عبارة عن مقالات متعددة حول أعمال بوطاجين لمجموعة من الأساتذة و الباحثين

و كأيِّ بحث أو دراسة لا تخلو من عقبات، فقد واجهتنـــي بعـــض الـــصعوبات أثنـــاء تنـــاولي للموضوع أهمها:

- قلة الأبحاث حول هذا القاص، لأن أغلب الدراســـات جزئيـــة تخـــص قـــصة أو اثنـــين دون المجموعة.
- كثرة أساليب السخرية، و تنوعها و تشابكها لديه، مما صعَّب عليَّ مهمة جمعها و تصنيفها.

في الأخير لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر للأستاذ المشرف الدكتور: العيـــد جلـــولي بعـــد الله تعالى على ما خصني به من اهتمام و تأطير، كما لا يفوتني أن أشكر كل من أسهم في هذا العمل من الأساتذة الأفاضل على ما قدموه من مساعدة.

و أسأل الله عز وجل التوفيق و السَّداد في هذا العمل.

ورقلة في: 2010/12/26.

الفصل التمهيدى

تمهـــــــــــيد

للسخـــــرية أو للمـــيل إلى إثارة الضحـــك بواسطـــة الصـــور المضحكة جـــذور عميـــقة في طبيعة الإنسان، و هي من أقدم المواهب الفطـــرية التي مارسها الإنسان في حياته البدائية فكـــان رئيس القبيلة البـــدائية يجلس في كـــوخ محـــاطا بالمحاربين من قبيلته أين يسلّون أنفسهم و يستمتعون بالحديث عن أعدائهم و خصومهم بالهزء منهم، يضحكون من ضعـــــفهم و يتبادلون النكت بما يجدون من نقص و تشويه، سواء كان هذا النقص عضويا أو عقليا، فيطلقون عليهم ألقابا مضحكة و هـــــم يقصدون من وراء ذلك أن يهزؤوا بهم بالألفاظ أو أن يلفـــقوا عنهم الحكايات.

ثم انتقل الإنسان في هذا الفن إلى البحث عن وسيـــلة يكسب بها هـــزءه أكثـــر بقاءٍ و خلود برسمها على الصحف أو السطـــوح اللينة، ثم عرف بعـــد ذلك عند الكثـــير من الحـــضارات القديمة؛ مثل الحضـــارة المصرية، و الإغريقية، والرومانية، و غيرهم.[1]

مع مجيء الإسلام لـــم تخمد روح السخرية باعتبارها شيئا طبيعيا يلتقي فيه البشر، لكن القيَّم الإسلاميَّة الأخلاقيَّة غيَّرت أساليب السخرية و قوَّمتها، حيث وردت في القرآن الكريم بألفاظ: الهزء و الاستخفاف، و الضحك، و السخرية؛ في الأولى في أكثر من خمسة عشر موضعا والاستخفاف في الآية(54)من سورة الـــزخرف، و الضحك بمعنى السخـــرية في أربعة مواضع و بلفظة السخرية في أربعة عشر موضعا، و كلها تدور حول استهزاء الكفار بالنبي صلى الله عليه وسلـــم أو بالأنـــبياء الســـابقين، و إنذارهم بأوخم العواقب، و أسوأ العقاب.[2]

"وَلَئِن سَأَلْتَهُم لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَ نَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّه وَ آيَاتِهِ وَ رَسُولِهِ كُنْتُم تَسْتَهْزِءُون..."[3]

ففي أثناء المعركة الهائلة التي نشبت بين الإســـلام و الوثنيـــين المشـــركين – في عصر الرسول– استُخْدِمَت السخرية غالبا من جـــانب المشركين؛ لأنهـــم المنهزمون عقليا و روحيا فاستخدموا هذا السلاح مع ما استخدموا من أسلحة أخرى ضد الرسول (صلى الله عليه وسلم) [4]

1- ينظر نعمان محمد أمين طه، السخرية في الأدب العربي، دار التوفيقية للطباعة بالأزهر، ط:1، 1398ه-1978م، ص:53.
2- ينظر نفسه، ص:70.
3- سورة التوبة، الآية: 65.
4- نعمان محمد أمين طه، السخرية في الأدب العربي، ص:62.

أما في العصر الأموي، فقد انتشر هــذا اللون بصورة كبيــرة؛ لأسباب كثيرة منها:

– التنافس على أبواب الخلفاء و الولاة و أصحاب الجاه و السلطان بغــية التقرب و التكسب منهم و العيش في نعيمهم، فانقسمت القبائل في البصرة و الكوفة بالإضافة إلى بـــروز أحـــزاب منها: حزب الزبيرية و الشيعة؛ فعادت العصبية القبلية و أصبح لكل قبيلة شــاعرا، فظـــهر شعر النقائض الذي يمتزج بالسخرية و من أقطاب السخرية في هذا العصر: **جرير(653م/733م)** و **الفرزدق (641م/732م)** و**الأخطل(640م/710م)** حيث نشبت بينهم سجلات شعرية هجائية ساخرة. [1]

بينما في العصر العباسي كان للحضارة الأجنبــيَّة من فارسيَّة و هنديَّة و سريالِيَّة تأثيرا كبيرا في الحياة السياسيَّة و الاجتماعيَّة و الثقافيَّة؛ فعكس الأدب هذا الواقع في شتى وجــوهه، فتغيَّر الأسلوب و تغيَّرت الموضوعات، فاتَّسعت السخرية و تطوَّرت خاصة في ذلك المجتمع الذي انتشر فيه الترف و رغــد العيش، و شــاعت فــيه الفكــاهة؛ فظــهر العديد من الشعــراء أهمهم **بشار بن برد (784/714)**، و **أبو نواس (762م/813م)**، و **حماد عجرد (ت:161)** أما الكــتاب فكان منــهم: **الجاحــظ(868/775)**، و **أبو العلاء المعــري(363هــ/449هــ)** و**بديع الــزمان الهمذاني (348هــ/398هــ)**؛ حيث أصبحت السخــرية لا تعــبِّر عــن ردَّة فعــل معيــنة و إنمــا تلازم الشخصية في كل المواقف عند من اكتملت شخصيتهم الساخــرة و تشربُّوها للتنفيس و الترويح عن النفس. [2]

قبل أن نخوض غمار هذه الظاهرة(من أساليب و وظائف)علينا أولًا توضيح مفهوميها اللغوي و الاصطلاحي.

1– عبد الرحمان عبد الحميد علي، الأدب العربي في العصر الإسلامي والأموي، دار الكتاب، (د. ط)، (د. ت) ص:46.
2– ينظر نعمان محمد أمين طه، السخرية في الأدب العربي، ص:242.

1)- مفهوم السخرية :

لقد ارتبطت السخرية بألفاظ كثيرة تحمل مدلولاتها، فقد وردت لها في المعاجم العربيَّة معان مختلفة أحيانا و متداخلة أحيانا أخرى، و لم تحاول التفريق بينها بدقة فتركت المعنى العام الذي يشتمل السخريَّة و الاســتهزاء و التهــكم بدون تعريف يقرِّبه من الأذهان، و اختلاف الدراسات في مجال السخرية أدى إلى مدلولاتٍ متعــددة، و مصطلحات خـــــاصة عند بعض الباحثين فقــد ارتبطت بالغضب، والهجاء، والــذم، والضحك، والتنــدر، والــدعابة، والتفــكه والنكتة،والحسرة، والهــزءوالاستخفاف، والتصــوير الكاريكاتوري ...[1]

لكي نبيِّن الفــرق بين مفهــوم السخرية و بين المصطلحات السالفة الذكر، و لكي نبين مدى التداخل بينها سنقف بالتحديد عند دلالة هذا المصطلح من الناحية اللغوية و الاصطلاحية ثم نقف عند بقية المصطلحات.

1- ينظر بوحجام محمد ناصر، السخرية في الأدب الجزائري الحديث، مطبعة العربية، (د. ط)، 2004، ص:19.

أ)- المفهوم اللغوي:

إذا عــدنا إلى معجم لسان العــرب لابن منظــور نجد كلــمة "سَخِرَ" تشتق من قـــولنا: (سَخِرَ منه و به سَخْرًا، و سَخَرا و مَسْخَرا و سُخْرا (بالضم) و سُخْرة، و سِخْريا، و سُخْريا و سُخرية : هزئ به، و يروى بيت أعشى باهلة على وجهين :

إنِّي أَتَتْنِي لِسَانٌ لاَ أُسَرُّ بِهَا

مِنْ عَلْوَ، لاَ عَجَبَ مِنْهَا، وَ لاَ سُخْرُ

و يروى لا سَخَرُ، (قال ذلك لما بلغه مقتل أخيه المنتشر).[1]

قال **الأزهري:** و قــد يكون نعــتا، كقولهم: هــم لك سُخْريٌّ و سُخْرِيةٌ من ذكــر قــال : سُخْريا و من أنث قال سُخْرِيَّة.

الفراء: يقال سَخِرت منه، و لا يقال سَخِرت به. قال تعالى:"**لاَ يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ** " و سَخِرْتُ من فلان هي اللغة الفصيحة.

قال الله تعالى: " **فَيَسْخَرُونَ مِنْهُم سَخِرَ اللهُ مِنْهُم**"، و قال " **إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُم.**"

و السخرة : الضُّحكة ، و رجــل سُخَرَةٌ : يَسْخَــر بالناس ، و في التــهذيب: يَسْخَــرُ من الناس و سُخْرَة يُسْخَرُ مِنْه ، و كذلك سُخْرِي و سُخْرِيَّة، من ذكَّره كسر السين، و من أنَّثه ضمَّها.[2]

السُّخري (بالضم)، من التسخير و السِّخري (بالكسر) من الهزء، وقد يقال في الهُزء: سُخْرِي و سِخْرِى وأما من السُخرة فواحده مضموم ، و قوله تعالى : **فَاتَّخَذْتُمُوهُم سُخْرِيًا حَتَّى أَنْسُوكُم ذِكْرِي...**"

و رجل سُخْرَة يُسْخَر منه و سُخَرَة بفتح الخاء (يسخر من الناس). [3]

1- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، مج:4، ط:6، (د.ت) ص:352.
2- نفسه، ص:353.
3- نفسه، ص:354.

و يقال سَخَرْتُه بمعنى سخَّــرْتُه أي قهــرته، و رجل سُخْرة: يُسخَّر في الأعمال و يَتَسَخَّره من قهــره.[1]

من خلال هــذه التحديدات اللغــوية حول مادة سَخِــر نجــدها تشترك و تتجانس و الهزء و الضحك بل قد تصل حد القهر.

هذا عن المفهوم اللغوي للسخرية التي أخذت بمعان مختلفة وفق تعدد المواضع، لكن ما هي السخرية اصطلاحا؟.

ب)- **المفهوم الاصطلاحي:**

لقد تعددت مفاهيم السخرية عنـــــد الكثير من الباحثين، منها ما ورد عن محمد ناصر بوحجام في أنها: طريقة فنية أدبية ذكية لبقة في الإبانة عن آراء و مواقف ذات رؤية خاصة، و بصيغة فنية متميزة، و هي أسلوب نقدي هازئ، هادف في التعبير عن أفعال معينة كعدم الرضا بتناقضات الحياة و تصرفات الناس و كشف الحســرة و المرارة بطريقة غير مباشرة، بعيدا عن العاطفة الجامحة،و الانفعال الحــاد قصد الإصلاح و التقــويم و التغيير نحو الأحسن، و طلبا للتنفيس عن الآلام المكبوتة.[2]

من خلال هذا المفهوم نجد أن السخرية تتطلب ذكاء في التعبير عن آراء خاصة بطريقة متميزة و غير مباشرة، و بأسلوب نقــدي لبلوغ هدف معين قد يتمثل في الإصلاح و التقويم أو محاولة التنفيس عن آلام مكبوتة كانت نتيجة أسباب معينة.

و مما ورد أيضا قول شوقي ضيف في كتابه **(الفكاهة في مصر)**: " السخرية أرقى أنواع الفكاهة لما تحتاج من ذكاء، و خفاء، و مكر، و هي لذلك أداة دقيقة في أيدي الفلاسفة الذين يهزؤون بالعقائد و الخرافات، و يستخــدمها الســاسة للنكــاية بخصومهم، و هي حينئذٍ تكــون لــذعا خالصا، و قد تستخدم في رقةٍ و حينئذٍ تكون تهكُّمًا إذ يلمس صاحبها لمسًا رقيقًا ....." [3]

1- ابن منظور، المصدر الســــــابق، الصفحة نفسها.
2- ينظر بوحجام محمد ناصر، السخرية في الأدب الجزائري الحديث، ص:32.
3- شوقي ضيف، الفكاهة في مصر نقلا عن الفكاهة في الأدب العربي، لأبي عيسى فتحي محمد عوض، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع (د.ط)، 1969ص: 35.

يتابع **شوقي** كلامه فيقول : " و على ذلك فاللذع و التهكم لونان من ألوان السخرية ..." [1]

من خلال هذا القول نجد أن **شوقي ضيف** في مقاربته لمفهوم السخرية، و في تحديده لها يعتبرها جـــزء لا يتجزأ من الفكاهة، لما تنطوي عليه من ذكـــاء، و مكر قـــد لا نجده في الأنواع الأخرى من نادرة أو دعابة، كما يفرِّق بينها و بين اللَّذع و التهكُّم فيعتبرهما جزأين منها .

بالإضـــافة إلى ما سبق يمكن اعتبارها – أي السخرية – وسيلة للنيل من الآخـــرين؛ لتحقيق أهداف متعددة منها:– الإساءة، و التشفي، و إظهار التفوق، و التخلص من ظروف قاهرة و الاستخفاف، و الاستهانة، و عدم الاكتراث، كما أنها أسلوب لدفع الأذى و تفريغ الطاقة. [2]

لهذا قد يغضب الأديب و يثور، و يؤثر أحيانا أن يخفي في نفسه الغضب، و الثورة و يحرص على ضبط أعصابه متكلفا الضحكة أو البسمة، ليـــنال من خصمه بطريقة يعدل فيها عن الهجوم و السباب إلى لون آخر و هو السخرية. [3]

هذا عن مفهوم السخريَّة عموما، لكن ما الذي يجعل السخريَّة سخريَّة، و ما الشيء الذي يميزها عن بقية التسميات من هجاء، وتهكم، وضحك، وهزل، وفكاهة، وكوميديا؟

أما عن **الهجاء**، فالأديب قـــــد يغضب و يثور و تشـــــتد الخصومة بينه و بين من أثارها في نفسه، كما سبق و أن أشرنا، فيعمد أحيانا إلى السُّباب فينال من خصمه و يشفي قلبه من الحقد الذي يشعر به. [4]

1- شوقي ضيف المرجع السابق، الصفحة نفسها.
2- ينظر فاعور ياسين، السخرية في أدب إميل حبيبي، دار المعارف للطباعة و النشر، سوسة تونس، (د.ط)،(د.ت)، ص:14.
3- ينظر نفسه، ص:31.
4- نفسه، ص: 30.

إذًا يمكن القــول مما سبــق بأن الهجاء: هــو أدب الغضب المباشر و الثــورة المكشوفة هذا ما نجده في نقائض جرير و الفرزدق بشكل واضح و جلي، في حين السخرية أدب الضحك القاتل و الهــزء المبني على شيء من الغموض، و دواعــي هذا الغموض كثيرة و متنوعة منها:

حرص الأديب على حياته حينا، و منها رغبته في إخفاء غضبه حينا آخر، و منها عُلُو كعبه في العلم و الثقافة حينا آخر، و لا غرو في هذا فالعلم يشحذ الذكاء، و الــذكاء يسعف صاحبه عادة في هذه المواطن، فنــرى الأديب المثقف ينال من خصمه في هــذه الحــالة بطريقة ملتوية لا بطريقة ساذجة.[1]

فالهجاء طريقة مباشرة في الهجوم على العدو، لكن السخريَّة طريقة غير مباشرة في الهجوم.

أما **التهكُّم** فهو ذكر أشياء أو أباطيل لا يعتقد بها الشخص، و في نفس الوقت يتظاهر بالاعتقاد بأنها صحيحة، أو يذكرها في معرض التعجب من وجودها؛ و من ثم يستهزئ بها، و هو من صور السخرية الشفافة التي ليس من السهل تعريفها، و لكنها تعرف بالذهن اللَّماح.[2]

إلا أنه بين(**الهجاء و السخــريَّة و التهكم)** صلات شتى تجعل كل واحد منها قريب من الآخر حيث يمكن أن ينظر إليها كلها على أنها تنبع من نفس واحــدة، هي النفس الحاقــدة أو الــراغبة في الانتقاص. [3]

أما **الضحك** فهو استعداد فطري في الإنسان لا يكتسبه بالتجربة، و هو انفعال إنساني خاص يتميز به الإنسان عن بقية الحيوانات، فالفلاسفة قديما انتبهوا إلى هذه الحقيقة البسيطة، فعرف الكثير منهم الإنسان بأنه حيوان يضحك (بفتح الياء) وكان بوسعهم أن يعرفوه كذلك بأنه حيوان يضحك (بضم الياء). [4] إلا أن المقصود هنا الضحك العميق الذي ينتهي بالإنسان إلى حالة الانشراح المعروفة لا مجرد السمات الخاصة التي تظهر على الفم و أسارير الوجه.[5]

1- ينظر فاعور ياسين، المرجع السابق، الصفحة نفسها.
2- نعمان محمد أمين طه، السخرية في الأدب العربي ، ص:44.
3- فاعور ياسين، السخرية في أدب إميل حبيبي ، ص:31.
4- برجسون هنري،الضحك، تر: الدروبي سامي، عبدالله عبد الدايم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: 2، 1997،ص:14.
5- نعمان محمد أمين طه، السخرية في الأدب العربي، ص:07.

ننتقل إلى **الهزل** الذي قسمه علماء النفس إلى ثلاثة أنواع هي :

الفكـــــاهة (Humour) (Humor)

الكـــوميديا (Esprit) (Joker)

النكتـــــة (Comique) (Comedy)

في **الفكاهة و النكتة** نجد الكثير من الناس من يخلط بينهما، و لا يكادون يفرقون بينهما حين يشملهم الجو المرح الضاحك و تنبعث من أفواههم النكات التي يمكن أن تكون لمجرد الإضحاك فحسب، و حينئذ فهي فكاهة، و قد تكون بقصد اللذع و الإيلام فهي سخرية، و قد تجمع بين الغـــــرضين، فمن النكت الفكاهية ما يروى عن أحـــد المفرطين في شرب الخمر أنه قال له أحدهم : إن الخمر انتحار بطيء.

فأجاب : و لماذا تريدونني انتحر بسرعة؟ !

و من النكت الساخرة نادرة تروي عن أحد الأمراء و قد التقى يوما بغريب يشبهه تمام الشبه فابتدره بقوله:

- هل كانت أمك يا هذا تقيم في البلاط الملكي ؟ فأجاب الغريب: كلا يا سيدي بل أبي.

إذا روى أحد الأشخاص النكتة السابقة لبعض الجالسين بقصد الضحك فهي فكاهة، أما إذا حدثت فعلا في مجلس من المجالس فيعد الرجل ساخرا بالأمير، و لذلك تسمى سخرية. [1]

مما سبق ذكره حول **الفكاهة و الضحك** نقول إن كل ماله غـــرض هادف واضـــح ســـواء كان معينا أو غير معين فهو سخرية، و كل ما لا غرض أو هدف له إلا الإضحاك فهو **فكاهة.**

1- ينظر نعمان محمد أمين طه، المرجع السابق، ص:09.

أما **الكوميديا (Comedy):** فهي فن عقلي يقوم على النشاط الإبداعي، و هي تصوير لمثالب الناس، وعيوبهم، و نقائصهم، و مظاهر ضعفهم في إطـــــار فني ينطـــــوي على انسجام معكوسو هي فلسفة الضحك التي تسمو بالهزلي من المستوى العـــامي المبتذل إلى مستوى جمالي فني إنساني. [1]

و **الكوميديا** فن يصور العيوب الاجتماعية تصويرا ساخرا، فمن النـــــاحية الأخلاقية تمتدح الكوميديا المثل الأعلى و تعلي من شأنه في حين تسخر من نقيضه.

إذا تنحصر مهمة **الكوميديا** في تصوير بعض النماذج البشرية كالبخلاء أو الأدعياء، أو أنصاف المتعلمين أو المتحذلقين أو المرضى المـــوهومين أو النساء المغـــرورات أو الفاتنات العالمات إن هذه الشخصيات التي يتناولها الكوميديون في العادة بالسخرية و التهكم إنما هي الشخصيات الانعزالية التي تحيا على هامش المجتمع أو الشخصيات المنحرفة التي تنـــأى بنفسها عن معايير الجماعة .[2]

مما سبق ذكـــره حـــول مفهوم السخرية و تحديدنا لها يتضح أنه من الصعب الإحاطة بمفهوم شامل جامع مانع لها، كما يمكننا القول بأنها تبنى على العقل و الفطنة، و تقوم على الثقافة و سعة العلم و تهدف إلى أغراض بعيدة تتصل بالمجتمع و ما فيه من مبادئ فاســـدة و شخصيات بارزة أو طبقات منحرفة أو هيئات مسيطرة؛ و بالتالي هي مرآة تعكس الواقع بصورة ساخرة و معبِّرة.

1- فاعور ياسين، السخرية في أدب إميل حبيبي، ص:18.
2- نفسه، ص:02.

2)- أسباب السخرية :

لقد تنوعت وتعددت الأسباب و الدوافع المؤدية إلى السخرية التي من بينها الحالات التالية:

1- أن الساخر هو ذلك المتعالي بنفسه عن المجتمع الذي يضحك منه أو من أحد أفراده لأسباب ترجع إلى حقده على المجتمع، لما يشعر به من نقص خلقي أو حرمان، و ينقد بما منحه الله من موهبة أو مقدرة على السخرية، ينقد الأفراد أو المجتمع؛ لإخفاء هذا النقص.

2- عــداوة بينه و بين الشخص الذي ينقده؛ لسبب من الأسباب التي تنجم عن الاحتكاك الدائم بين النـــاس؛ لغــرض الانتقـــام، كما قــد تعود إلى:

3- تعالي شخص ناقص لا يحسُّ ما فيـــــه من نقص، فيضـــطر الأديب الســـاخر إلى أن يرده إلى صوابه أو منطقه، فيحاول حينذاك البحث عن عيوبه ويضخمها و يكبرها، بهذا يجعل منها وبفنه أداة للضحك. [1]

و قد تتولد عن:

4- تعالي الشخص الساخر بنفسه، و شعوره بالغرور، و إجلال مكانته؛ لهذا يلجأ إلى نقد المجتمع بإبراز ما فيه من نقائص و مفارقات؛ لذلك قال العقاد: "...فالعبث و الغرور بابان من أبواب السخرية بل هما جماع أبوابه كافة...."[2].

و يمكن أن تكون نابعة عن:

5- حساسية الناقد نفسه على أنه ذو عيــن بصيرة نفــاذة يحس نقائص المجتمع، فيتناول قضاياه بروح مرحة هذا بالاعتماد على أساليب السخرية المختلفة؛ قاصدا من وراء ذلك الإصلاح في قالب الإضحاك، كما قد تكون وسيلة منه(النــاقــد) للعلاج و التنفيس عما يشعــر به. [3]

قد تعــود أيضا إلى:

- استعداد الفنان المزاجي الذي يكون ذهنه مهيئا دائما إلى السخرية بالناس مع انتفاء دافع شخصي معين يدفعه إلى ذلك، ويمكن أن يكون الشخص نفسه ميَّالا إلى الشرِّ بطبعه حيث يميل إلى إغاظة الناس و التشفي منهم، لضعة أصله و محاولته الانتقام من الناس كرها و حقدا.

1- ينظر فاعور ياسين المرجع السابق، ص:16.
2- العقاد عباس محمود، مطالعات في الكتب و الحياة، نقلا عن السخرية في الأدب العربي، ص:17.
3- ينظر نفسه، ص:17.

و هذا متأصل في الطفــولة الإنسانية حينما نرى بعض الصبية يقــذفون الحيوانات بالحجارة أو يتعدُّون عليها من غير رحمة أو شفقه لغير سبب ظاهر، و نرى بعض الناس قد تأصَّل فيهم الميل إلى المشاكسة و جرى في طبعهم إلى حد مضايقة غيرهم و الشعور باللذة حينما يرون غيرهم يتألمون؛ و أوضح مثـــال على ذلك **الحطـيئة (ت.679م)** [1] في الأدب العربي و **برناردشو(1950/1856م)** في الأدب الإنجليزي، فقد كان الحطيئة مغمور النسب محروم الميراث، لقي بين القبائل، و نشأ الثاني في بيئة اجتماعية منحلَّة فكان أبوه مدمن خمر؛ لذلك كان كلما أصيب بكارثة أو محنة، رقَّــه عن نفســه بالضحــك و السخريَّة أما أمه فقد تركت زوجها و عاشت مع معلم موسيقى دون أن تلقي بالها على شؤونها الزوجية. [2]

كانت هذه هي الأسباب المؤدية للسخرية؛ التي تعددت؛ منها ما يعــود إلى الفنان (الأديب) في حد ذاته أو إلى الشخص المسخور منه .

أما عن الأسباب الأولى قد تعود إلى الساخر و إلى شعوره بالدونية أو إلى غــروره لإجلال مكانته ؛ لهذا يلجأ إلى المجتمع، أو قد تكون عن حذق من الناقد الذي يستشف نقائص مجتمعه فيتناول قضاياه بقالب مرح مضحك و من ثمة تصبح وسيلة للترويح عن النفس و عما يشعر به.

كما قد تعود إلى رغبة مزاجية من الفنان دون أن يكون هناك أي سبب يدفعه إلى ذلك أو إلى نفسه الميالة إلى الشر و إلى إغاظة الناس و التشفي منهم، و هذا له أسبابه بالطبع.

أما عن الأسباب الثانية تعود إلى تكبر الشخص، فيضطر الأديب إلى البحث عن عيوبه ليبصره بها فيرده إلى صوابه.

أما الأسباب الثالثة تتمثل في طبيعة العلاقة القائمة بينه(الفنان) و بين الشخص الذي يسخر منه و التي قد تكون لغرض النيل منه و الانتقام كذلك.

1- الفاخوري حنا، تاريخ الأدب العربي، منشورات المكتبة البوليسية، ط:12،1987، ص: 194.

2- نعمان محمد أمين طه، السخرية في الأدب العربي، ص:18.

3)- أساليب السخرية و صورها:

إن الأديب الفنان يتخير ألفاظه و تراكيبه؛ ليعبر بها عن مكنون مشاعره، و عصارة فكره فيبني من كل ذلك أساليب ينتقيها ليبلغ غايته في إقناع المتلقي بما يريد إيصاله إليه.

هذا الانتقام و القصد في الكتابة يعبران تعبيرا صادقا عن مواقف و أفكـــار تحمل عمقا معينا و كثافة متميزة، و دلالات خاصة، كما يبينان إبانة واضحة عن شخصية الكاتب، المتبني لتلك المواقف المتميزة عن غيره في اختيار المفردات و صياغة العبارات و التشبيهات البلاغية. [1]

لهذا عد الأسلوب: قناة للعبور إلى شخصية صاحبه، سواء منها الفنية أو الوجودية ....[2]

و قد أقر **برفون (Buffon)**: في كتابه **(مقالات في الأسلوب)**: إن الأسلوب هـــو الـــرجل

و قال **شوبنهاور(shopen hauer)**: الأسلوب هـــــو ملامح التفكـــير، و قـــال عنه

فلـــــوبير(floubert): بأنه طـــريقة مطلـــقة في تقـــدير الأشياء. [3]

إن هذه التعريفات و التحديدات تشير جلها إلى أن الأسلوب هو الطريقة أو فن القول [4] أو المنهج أو المسلك الـــذي يسير فيـــه أو عليه من يريد بلـــوغ هدف معين من قوله أو كلامه كما أنه يخضع لمؤثرات خاصة، و عوامل توجهه وجهة معينة فتصبغه بصبغة متميزة، تلك المؤثرات حصرها **علي أبو ملحم** في أصلين اثنين رئيسيين تتفرع عنهما بقية العوامل.

1- عزام محمد، الأسلوبية منهجا نقديا، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ط:1، 1989، ص: 10.
2- نفسه، ص: 28 .
3- نفسه، نفس الصفحة.
4- نفسه، نفس الصفحة.

هذان العاملان هما : شخصية الأديب و موضوع الكتابة.

أما العـــــامل الأول؛ فيتعلق بالصفات العقلية، و العاطفية، و الجسمية التي تكون عليها شخصيته و التي لها أثرها الكبير في نوعية الأساليب التي يظهر بها العمل الأدبي، فتصبغ بالتشاؤم و التفاؤل، و الشمولية، و الجزئية، و الرقة، و الخشونة، و القوة، و الركاكة ...

كما أنها – شخصية الأديب – تتأثر بالبيئة و الجنس و الثقافة و الدين، فتنشأ عن ذلك أساليب مصبوغة بصبغة القيم الدينية، و الاجتماعية التي تطفو على حياة الأديب .

أما العامل الثاني فيتعلق بموضوعات الأدب التي يحصرها في الإنسان، و الطبيعة، و ماله صلة بما يتأثر بهما أو يؤثر فيهما.[1]

من خلال ما سبق نقول إن أسلوب التعبير يخضع لظروف معينة، فهو مختلف و متنوع لاختلافها و تنوعها؛ لهذا تتنوع أساليب الكتابة بما لا يمكن حصره في عدد معين؛ لأنها نتاج المشاعر المتدفقة التي لا تعرف التوقف و كلها تبحث لها عن أية وسيلة للوصول إلى وعي المتلقي المخاطب أو المقصود بالخطاب.[2]

و الساخر نفسه هو أديب فنان يملك خيالاً مرناً، و عقلاً راجحًا، و مشاعراً محتدمة، و ذكاءًا لماحاً، وروحاً مرحة، و قدرةً على الصياغة، و ملكة لاختيار ما يحقق غرضه من الكتابة ... فبفضل هذه المعطيات، و الامتيازات يتناول المسخور منه بالعبث، والمداعبة، والتندر و التهكم.[3]

1- بوحجام محمد ناصر، السخرية في الأدب الجزائري الحديث، ص:209.
2- نفسه، نفس الصفحة.
3- نعمان محمد أمين طه، السخرية في الأدب العربي، ص:47.

لهذا اختلفت صور السخرية، و أساليبها على مر العصور؛ إذ حاول كثير من الكتاب، و النقاد الأوربيين الإحاطة بصور السخرية المختلفة، و ترتيبها زمنيا منذ نشأتها منذ القدم ثم تدرجها على مر العصور، فمن هؤلاء **أرثر سيد جويك**، و تابعه **سيدج GG sedg**، و حاول مناقشة تاريخ الكلمة و تطور معانيها، و لم يستطع معرفة تاريخها قائلا :" فحتى لو لم يكن لصبرك أو لوقتي من حدود فإني غير مستطيع سرد القصة بأكملها؛ لأنني لا أعرفها".[1]

إن أول صور السخرية و أقدمها في تاريخ البشر و أكثرها انتشارا بين العامة هي :

1- السخرية بالمحاكاة في الكلام و المشي و الحركات الجسمية و أنواع السلوكيات المختلفة ؛ أي في السمات البارزة التي تميز شخصية ما من الشخصيات البارزة؛ كأسلوب ما من أساليب الكتابة التي يمتاز بها كاتب من الكتاب أو خطيب من الخطباء أو شاعر من الشعراء في قصيدة ما من قصائده؛ كما فعل **حافظ إبراهيم (1932/1871م)** [2] معارضا **شوقي 1932/1868م**[3] في قصيدته " **عن أي ثغر تبتسم** " إن هذا النوع من تقليد القصائد، و إحالة الجاد منها إلى الهزلي أو المضحك منتشر في الآداب الأوربية أكثر من انتشاره في الأدب العربي.

يعود السبب في كونه – أي التقليد – مدعاة إلى السخرية هو أن الساخر المقلِّد ينقل شخصية المقلَّد برمتها و يجعلها رداءًا له يلبسه و يتماجن به كيفما شاء، و أما الفنان لا يكتفي بمجرد التقليد كعامة الناس أو الأطفال لأنه يُوَلِّد منها صورا متنوعة كثيرة .[4]

1- ينظر نعمان محمد أمين طه المرجع السابق، ص:36.
2- الفاخوري حنا، تاريخ الأدب العربي، ص:922.
3- نفسه، ص:971.
4- نعمان محمد أمين طه، السخرية في الأدب العربي، ص:37.

من أساليب السخرية نجد أيضا :

3- **المناداة بالألقاب:** هي من أقدم الصور السهلة الساذجة في السخرية، وتستعمل فيها أسماء الحيوانات كألقاب؛ مثل قولهم للسمين: يا درفيل، ثم استعمال هذا اللقب بعد ذلك ، اسما يطلق على هذه الشخصية و تعرف به، كما نجد كذلك :

4- **استعمال الصفات المعكوسة:** و هي عكس ما يتصف به الشخص حقيقة كألقاب أسماء تتكرر كثيرا في صور متنوعة، و مناسبات مختلفة حتى يلتصق هذا الاسم بهذه الشخصية؛ كإطلاق صفة الهزيل النحيف على السمين أو استعمال ألفاظ أجنبية؛ لزيادة الهزء؛ كاستعمال لفظة "مدموزايل" للعجوز الطاعنة في السن، كما يمكن استعمال أسماء الرذائل و إضافتها إلى من يدَّعون التمسك بالفضيلة؛ كإطلاق لفظة الشيخ أو الإمام على الفاسد، و الأمين على اللص؛ لغرض التهكم و السخرية.

كما ترتبط هذه السخرية بالأحرف و المسميات ترتبط أيضا بالمحيط؛ أي الجو الاجتماعي الذي يفهمه السامع أو القارئ.

من أقدم طرق السخرية أيضا:

5- **السخرية بالصوت:** بتلوينه و رفعه، وخفضه، و إعطائه نبرات خاصة معروفة غالبا ما يفهمها السامع، و يعرف صفاتها التي لا يمكن أن تجسد كتابة، و من طرق السخرية انفراج أسارير الوجه، و تحريك عضلاته أو بهزِّ الرأس أو الكتفين أو بالغمز بالعين ، و غيرها من الحركات الموحية و الدالة على السخرية.أما عن النوع الخامس فهو:

6- **معالجة الشيء الحقير كأنه عظيم:** أو ما يسمى في أدبنا العربي : **الذم بما يشبه المدح**؛ و نضرب مثلا على هذا بمخاطبة عالم يستهزأ بجاهل قائلا له: قل لي يا سيدي الأستاذ أو أخبرني أيها العالم الجليل، أو مخاطبة القبيح قائلا: القمر يغار منك، بعضهم يسمي هذا النوع بالتهكم .[1]

1- ينظر نعمان محمد أمين طه المرجع السابق، ص:38.

6- **معالجة الشيء العظيم كأنه حقير؛** مثل التشبيه الذي شبهه يتلر إذ شبه أماكن العبادة المسيحية بمصرف يذهب إليه الناس ليدفعوا شيئا و يأخذوا، و من أنواعه أيضا:

7- **تجاهل العارف أو التباله:** و هي الطريقة التي أثرت عن **سقراط (ولد عام 469ق/م)** كسؤال الأب لابنه الراسب في الامتحان، و هو يعلم برسوبه: أنجحت في الامتحان ؟ [1]

8- **التعريض:** يعدُّ من أشهر أنواع السخرية [2] كما أنه أسلوب يعتمد على التعبير غير المباشر و اللعب بالمعاني من غير أن يكون بين المعاني تلاؤم مشروط و هو الكلام الذي لا يقصد به المتكلم معناه، و إنما يقصد معنى آخر و ليس بين المعنيين تلازم. [3]

في التعريض ينال الأديب الساخر من المسخور منه، و يعبث بخصمه بطريقة خفية، و ذكية و مؤلمة في الوقت نفسه، و بذلك يوفر التعريض الجمالية في التعبير و الطرافة في القول، و من ثم يبعث المتعة في نفس القائل، و نفس المستمع و المطلع على القول المعرَّض. [4]

من أمثلته ما ورد عن **محمد ناصر بوحجام** في قضية العبث بهلالي رمضان و العيد ، إذ كانت الحكومة الفرنسية تتصرف فيها كما تشاء، و ذلك بإصدار أوامرها إلى رجال الدين الرسميين ليعلنوا عنهما حسبما تقتضيه مصلحتها،حيث يعرض **الأمين العمودي**(1957/1890) برئيس جمعية علماء السنة الذي غاب عن ضيف قَدِمَ إلى الزاوية يقول: " الذي منعه من حضور هذا الحفل استعداده لوضع هلال رمضان في مكان يليق به".

1- ينظر نعمان محمد أمين طه المرجع السابق، ص:40.
2- نفسه.
3- بوحجام محمد ناصر، السخرية في الأدب الجزائري الحديث، ص:215.
4- نفسه.

التعريض يبدو في هذا القدح و التنديد بصنع رئيس جمعية السنة الذي يبقى أسير أو رهن إشارات أسياده المستعمرين.[1] من صورها – أي السخرية – أيضًا:

9- التصوير المبالغ فيه (أي الكاريكاتوري): هو وضع الشخص في صورة مضحكة كالمبالغة في تصوير عضو من أعضاء الجسم، و محاولة تشويهه إلى حد ما حتى يجعل الشخص لا يدرك أو يعرف إلا بهذا العيب الذي جسَّده و كبَّره، و من ذلك ضخامة الجسم أو نحافته، و بهذا يقف على جسد الشخص أو ملاح وجهه، بخاصة الأنف الذي يُعَد مقياسا للشذوذ الذي يثير الضحك

لهذا نلحظ أن المصوِّر الكاريكاتوري يميل إلى تأكيد طول الأنف أو انعدامه لما يضفيه هذا الشذوذ الهزلي على الوجه.

كذلك تصوير الفم تصويرا هزليا لاتساعه، أو عدم انتظام أسنانه أو لعيب في إحدى الشفتين.

كما يدخل في هذا النطاق ما يسمى بالشذوذ الحسي؛ كالأعمى، و الأصم، و الأبكم، فهؤلاء يثيرون عاصفة من الضحك إذا سلكوا مسلكا يحاولون به إنكار ما فيهم من نقص. [2]

من الشعراء الذين اشتهروا بهذا النوع نجد **ابن الرومي (835م-896م)** يذم شخصا اسمه عمر إذ يقول له (من مخلع البسيط):

وَجْهُكَ يَا عَمْرُو فِيه طُولٌ وَ فِي وُجُوهِ الكِلَابِ طُولٌ.

فَأَيْنَ مِنْــكَ الحَيَاءُ قُلْ لِي يَا كَلْبٌ وَ الكَلْبُ لَا يَقُولُ. [3]

ثــم يقـــــول:

وَ الكَلْبُ وَافٍ وَ فِيكَ غَدْرٌ فَفِيه عَنْ قـــــدْره سُفُولُ. [4]

1- بوحجام محمد ناصر المرجع السابق، ص:218.
2- ينظر نعمان محمد أمين طه، السخرية في الأدب العربي ص:41.
3- ابن الرومي، ديوانه، تح: بسبح أحمد حسن، ج:3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:1، 1994، ص:139.
5- نفســــــه

و تعرض لرجل ذي لحية كبيرة فقال (من السريع):

لَوْ غَاصَ فِي البَحْرِ بِهَا غَوْصَةً صَادَ بِهَا حِيتَانَه أجْمُعَا. [1]

كما هجا رجلا طويل الأنف **(عمرو النصراني ***) إذ قال فيه (من البسيط):

عَلَيْكَ خُرْطُومُ صِدْقٍ لَا فُجِعْتَ بِه فَـإِنَّه آلَـةٌ لِلجُـــودِ وَ الـبَاسِ؟

لَـوْ شِئْتَ كَسْبًا بِه صَادَقْتَ مَكْسَبًا أوْ انْتِصَارًا مَضَى كَالسَّيْفِ وَ القَاسِ.

ثـــم يقول:

حَمَلْتَ أنْفًا يَرَاه النَّاسُ كُلُّهُم مِنْ رَأسِ مَيْلٍ عَيَانًا لَا بِمِقْيَاسِ. [2]

و لا يكتفي المصور الكاريكاتوري **(رساما كان أو كاتبا)** بتصوير الشذوذ الخلقي بل يتخذ من السلوك الشاذ مادة خصبة لسخريته؛ لأن الساخر بما له من ذكاء وفطنة و خيال، وحس مرهف و استعداد للتعبير الطريف يتفطن إلى هذا الشذوذ، و يدرك الحركات غير العادية التي يعجز الغير عن إدراكها؛ فيضخمها و يهيؤها ليراها الناس مشوهة حسبما يهدف أو يرمي إليه مع تركيزه على النقط المثيرة فيها. [3]

إذن التصوير الكاريكاتوري هو المبالغة الباعثة على الضحك الساخر، الهادفة إلى غاية ما قد تكون نبيلة ترمي إلى الإصلاح و التقويم و البناء، و ولوج دخائل النفوس البشرية، و تقريبها من المتلقي بالكشف عنها؛ لأن كثيرًا من الشخصيات تخفي وراءها أشكالاً معينة، و لا تبدو على حقيقتها، فيأتي الكاريكاتوري ليبين عنها.

و قد تكون المبالغة مغرضة تسعى إلى التحقير و الاستنقاص من المسخور منه، و قد تكون لمجرد الإضحاك و التندر، إلَّا أن هذه المبالغة، مهما يكن هدفها ليست غاية إنما هي وسيلة لإبراز الشذوذ و التصلب و الانحراف. [4]

1- ابن الرومي،السابق ج2، ص:392.

* كان كاتب القاسم بن عبيد الله.

2- ابن الرومي، ديوان، تح: بسبح أحمد حسن، ج:2، ص:223.

3- ينظر نعمان محمد أمين طه، السخرية في الأدب العربي، ص:42/41.

6- أبو عيسى فتحي محمد عوض، الفكاهة في الأدب العربي، ص:203.

10- السخرية التراجيدية: و هي العبقرية التي تجعل شخصًا من الأشخاص يستعمل ألفاظًا تعني شيئا ما بالنسبة إليه، و شيئا آخر بالنسبة للناظرين العارفين بالحقيقة؛ مثل ذلك الذي يقول لأعدائه و هو يقدِّم إليهم طعاما مسموما: طعامًا هنيئًا يا سادة.

11- السخرية عن طريق الصور الملفقة المضحكة؛ أو ما يسمى بالدعاوي الكاذبة كاختراع النوادر، و النكت، و إضافتها إلى أغنياء الحرب، و محدثي النعمة، و القرويين السذَّج الذين زاروا المدينة لأول مرة.

و يهاجم الساخر الجبان، و البخيل، و المتطفل، و المتسول أيضا، و كل العيوب الاجتماعية الأخرى بالمبالغة في وصفها، و اختراع الصور المبالغ فيها، و في **كتاب البخلاء للجاحظ** أمثلة طريفة. [1]

12- مجابهة (مواجهة الشخص بعكس ما يتوقع)؛ و من ذلك سرعة جواب الساخر و نعطي مثالا لما يحكى عن أحد الأمراء أنه أراد أن يسخر بالشاعر الفرنسي **فيكتورهوجو(1802م-1885م)** ، فقال له : ألم يكن أبوك خياطا ؟ قال فيكتور هوجو: بلى، فقال الأمير: و لماذا لم تكن خياطا مثله؟ بنفس الطريقة سأله الشاعر (هوجو): و أنت أيها الأمير ألم يكن أبوك مهذبا؟ فقال الأمير بلى: فقال الشاعر : و لماذا لم تكن مهذبا مثله؟

هــذا ما نلمسه حقا في كتاب **سيكولوجيا الضحك** إذ يقول أحمد عطية الله :"يحاول المستهزئ في بعض الأحيان إمعانًا منه في الزهو بنفسه أن يدخل في روع الهزأة أنه حقا ذو شأن، و خطر حتى إذا ما اعتقد هذا الأخير ما أوهم به كشف المُدَاعِب عن حقيقته، فاختفت مسحة الجِدِّ من وجهه وراح يضحك ساخرا من صاحبه الذي تذهله المفاجأة حتى يعجم عليه القول. [2]

1- نعمان محمد أمين طه، السخرية في الأدب العربي، ص:32.
2- أحمد عطية الله، سيكولوجية الضحك، نقلا عن السخرية في الأدب العربي لنعمان محمد أمين، ص:42.

13- السخرية بالمفارقة: يستخدمها الساخر بمهارة في القصص. [1]

من أمثلته: " دخل رجل على طبيبٍ في عـــيادته، فاعتقـــد الطبيب أن الـــزائر مريض يطلب علاجا و أراد أن يوحي إليه بمقدار أجره من غير مساومة، فعمد إلى التليفون و أداره وراح يقول لمحدثه المزعوم: نعم أن الدكتور فلان إنني مشغول جدا...تسأل عن القيمة المطلوبة، إنها كما أخبرتك أربع جنيهات...و أنت تعرف هذا...حسن إلى اللقاء إذن، ثم وضع سماعة التليفون و التفت إلى الزائر متسائلا: ماذا أستطيع أن أصنع لك يا سيدي ؟ فأجابه الزائر: لا شيء...إنني موظف مصلحة التليفونات الذي طلبته لإصلاح تليفونك. في هذا النوع الساخر لا يستخدم لغة بل يترك الموقف للسامع أو القارئ لكي يضحك منه ما شاء له الضحك.

14- السخرية بالجمل أو التعبيرات اللاذعة: و هي جمل تكون كالحِكَم السَّائِرَة أو المَثَلُ السَّائِرُ و تتناول شخصا من الأشخاص أو مهنة من المهن بالنقد اللاذع المختصر، و يكون في صيغة التعريف؛ مثل قول أحدهم عن الأمريكيين:" الأمريكيون أحرارا لأنهم يأخذون حرياتٍ كثيرةٍ."

15- التلاعب اللفظي: الأساس فيه هو أن يحاول السَّاخر أن يُكْسِب الألفاظ معاني غير معانيها الواضحة، فإذا ما اكتشف السَّامع أن ما يقصده المتكلم هو هذا المعنى الغريب يسخر من فهمه الأول لمعنى الجملة فيضحك، و يكون التلاعب اللفظي باختصار الفكرة أو بالإضافة إليها؛ حيث تخرجها عن معناها الأصلي أو بتبديل الكلمات المكونة لها أو غير ذلك. [2]

هذه هي أهم الوسائل و الصور المتعددة للسخرية على اعتبار أن هناك وسائل أخرى لا يمكن عدُّها، لأنها تخضع لخيال السَّاخر المعرض دائما للابتكار.

1- ينظر نعمان محمد أمين طه، السخرية في الأدب العربي، ص:45.
2- نفسه، ص:47.

4)- وظائف السخرية :

إن وظائف السخرية متعددة باعتبار الغايات التي يرمي إلى تحقيقها الساخرون، و بسبب اختلاف الحالات النفسية التي يكونون عليها، هذه الوظائف يمكن حصرها في وظيفتين أساسيتين رغم تداخل وظائف أخرى ضمنها.

هاتان الوظيفتان هما: الوظيفة الاجتماعية، و الوظيفة النفسية. [1]

إن أول ما يلاحظ عن السخرية نزعتها النقدية؛ فهي تحاول نقل كل ما تعجُّ به الحياة من سلبيات و ذلك بتتبع ما يجري في الواقع و نقده، و معالجته؛ بهدف الإصلاح و التقويم، و هذا ما يعنيه **حامد الهوال** في تعريفه للسخرية بأنها أسلوب نقدي يهدف إلى بناء الحياة، فهذا النقد يساعد على تثبيت السمات التي تنسجم مع المجتمع من مكارم الأخلاق، و الصدق، و الوفاء... و على محاربة الانحرافات الاجتماعية فيحس بنقائص المجتمع، ثم يكون ذا روح ،مرح ضاحك يتناول العالم بأساليب السخرية المختلفة، و لهذا عدَّ بعض الدَّارسين الفكاهة التي تصطبغ بالسخرية سلاحا لمجاهدة نقائص المجتمع، و توجيه الأفراد إلى سلوك اجتماعي قويم. [2]

كما تقوم السخرية بزرع و بث الوعي في النفوس، و هنا تتجلى الوظيفة الاجتماعية السامية للسخرية، و الدور المهم للساخر الذي يُؤَدِّي رسالته في الحياة التي هي رسالة حضارية شريفة و شاقة في الوقت نفسه، و بهذا يستطيع أن يصل إلى إعطاء صورة كاملة للواقع، و يقدر على مقاومة النقائص الاجتماعية الموجودة في الواقع، فهو يسعى إلى محاربة الاعوجاج و التصلب الذي يضربه؛ لأنه إنسان رقيق الحس عميق الإدراك لطبائع النفوس، و حقائق الوجود، و الكون معتز بحياته، منتم لمجتمعه، محب للإنسانية يمنحها كل اهتمامه.

1- ينظر بوحجام محمد ناصر، السخرية في الأدب الجزائري الحديث، ص:32.
2- نفسه، نفس الصفحة.

من وظائف السخرية الاجتماعية أيضا:- إشعار الإنسان بضرورة تقويم أخلاقه، و إلزامه بواجب المحافظة على تقاليده، و عاداته، و مقوماته، و حثه على إعادة النظر في علاقته بأفراد مجتمعه و ضرورة توثيقها، وهذا بطريقة تنبيه لطيفة و لبقة. [1]

من أهم الوظائف التي سجلها الدارسون للسخرية سعيها لتنبيه الإنسان إلى حقه الضائع؛ إذ تقوم بطريقة ذكية، و خفية بإثارة مشاعره و عواطفه نحو قبيلته، و كل ما يتعلق بشخصيته... فينهض بعد تنبيه السخرية له بالعمل على استرجاع هذه الحقوق المسلوبة منه بكل حماسة، بمختلف الوسائل هذا ما نلمسه عند **ابن المقفع** في **كتابه كليلة و دمنة** من خلال تكلمه على الملوك في العديد من قصصه التي من بينها:"**الأسد و الثور**"،"**الملك و الطير فنزة**"،"**الحمامة و الثعلب و مالك الحزين**".

من **الملك و الطير فنزة** يقول **ابن المقفع** مخاطبا الملوك : " **تَرْحًا* لِلْمُلُوكِ الذِين لَا عَهْدَ لَهُم وَ لَا وَفَاءَ، وَوَيْلٌ لِمَنْ ابْتُلِيَ بِصُحْبَةِ المُلُوكِ الذِين لَا حَمِيمَ لَهُم وَ لَا رَحِيمَ وَ لَا يُحِبُّونَ أحَدًا ، وَ لَا يَكْرُم عَلَيْهِم إلَّا مَنْ يَطْمَعُونَ عِنْدَه فِي غِنَاءٍ أوْ يَحْتَاجُونَ إلَيْه فَيُقَرُّ بَوْحُه عِنْدَ ذَلِكَ وَ يُكْرِمُونَهُ فَإذَا قَضُوا مِنْه حَاجَتَهُم فَلَا وُدًّا وَ لَا إخَاءَ وَ لَا البَلَاءُ الحَسَنُ مُجَازًى عِنْدَهُم ، وَ لَا الذَّنْبُ مَغْفُورٌ وَ لَيْسَ أمْرَهُم إلَّا الفَخْرُ وَ الرِّيَاءُ وَ السُّمْعَةُ... **" [2]

بالإضافة إلى ذلك تقوم السخرية بوظيفة تربوية مهمة هي: مساعدة الإنسان على تثقيف نفسه و كذا قدراته على توخِّي المنطق السَّليم و السَّديد.

بهذا تقوم النكت الساخرة بتهذيب العقل و تقويم التفكير و تكوين الذوق و تنمية الحس الجمالي في النفس، و من هنا يحسُّ الإنسان بضرورة إتقان عمله و أداء واجبه على الوجه الأكمل، و مما لا يدخل في دائرة التثقيف و التنمية الجمالية في النفس و تقليل الصلابة الاجتماعية الناتجة عن التعصُّب و التحجُّر في الفكر أو جفاف في الطَّبْع، و ضعف في المعرفة، فتقوم السخرية بعملية إنذار له بمختلف الوسائل بالحركة أو الإشارة، أو الكلمة.

كما قد تكون السخرية عَوْنًا على الانعتاق من المواقف الحرجة، و الانفعالات من مواطن الهلاك فهذا **أبو دُلامة** الشاعر الفكه كان قد خرج مع **أبي مسلم الخرساني** في بعض حروبه مع بني أمية

1- بوحجام محمد ناصر، المرجع السابق، ص:33.

*- ترحا: الترح هو الهم.

2- ابن المقفع عبد الله، كليلة و دمنة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، (د.ط)،(د.ت)، ص:209.

و على غرة دعا إلى براز رجل فأنشد أبو دلامة(ت.778م)* [1]

أَلَا لَا تَلُمْنِي إِنْ فَـــرَرْتُ فَإِنَّنِي أَخَافُ عَلَى فَخَّارَتِي أَنْ تُحَطَّمَا

وَ لَوْ أَنَّنِي فِي السُّوق إِذْ تُبَاعُ مِثْلُهَا وَجَـــدَكَ مَا بَالَيْتُ أَنْ أَتَقَدَّمَا.

ومن الناحية النفسية الفردية؛ فإن السخرية تؤدي في الحياة النفسية دورا صحيا لا نجد له نظير ففيها يتحقق ضرب من التعويض الراقي، بل وسيلة نافعة للتهرب- وقتيا- من بعض مشاغل الحياة؛ لذا فإن السخرية توطن النفس على مقارعة الحاضر، إنها تعدها للمستقبل،وقد شحنت بطاقة جديدة فمن شأنها أن تعيد الثقة إلى النفس وتقوي الروح المعنوية لدى الساخر وحزبه. [2]

بالإضافة إلى ما سبق تساعد السخرية على قهر الخصم و تذليله؛ لكي ينقاد له، و هي تمنح المستبدَّ فرصة التمادي في مجال القهر، و الإذلال و التسلط على الضعفاء لإيقافهم على ما هم عليه من الحرمان، و الشقاء، و الغفلة عن ذلك، و هذا بإغراقهم في التهكم و التفكه و السخرية و التلذُّذ بها، هذا ما أراد **العقاد** توضيحه عندما قال بأن النكتة تلطف وطأة الظلم و توهم المظلوم أنه ينتقم لنفسه بعض الانتقام، فتهوِّن عليه الشدائد و تروضه على الصبر و الانتظار، فهي من ثم معين للحكام على المحكومين... [3]

من خلال ماسبق نقول أن السخرية ليست ايجابية دائما حيث تعمل على التغيير نحو الأحسن فقد تمس أعراض الناس و شرفهم مثل ما قال **جرير** في **الفرزدق** يطعنه في أخلاقه؛ إذ يصور قلة دينه و فجوره يقول:(من الطويل)

فَإِنَّكَ لَوْ تُعْطِي الفَرَزْدَقَ دِرْهَمًا عَلَى دِينِ نَصْرَانِيَّةً لِتُنْصَرَا [4]

و يقول أيضا :

مَنَحْتَ الجَارَ أَيْرَكَ وَ هُوَ أَعْمَى وَ بِئْسَ مَنِيحَةُ الزَّمَنِ المُحِيلِ [5]

---

*- نشأ بالكوفة ، حضر الأمويين في أعوامهم الأخيرة ، غير أنه لم ينبت له شأن في ظل الأمويين، فالنباهة لم تظهر له إلى مع ظهور الدولة العباسية، و الكنية أضفاها على نفسه اسم جبل بأعلى مكة المكرمة كانت قريش تئد عنده البنات في الجاهلية .

1- الأبياري إبراهيم، الموسوعة الشوقية، (د.ط)،(د.ت)، ص:272.

7- فراس عمر أسعد الحاج محمد، السخرية في الشعر الفلسطيني المقاوم بين عامي 1948م -1993 م (أطروحة لنيل الماجستير في اللغة العربية بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين عام1998م - 1999م

3- ينظر بوحجام محمد ناصر، السخرية في الأدب الجزائري الحديث، ص:37.

4- جرير، ديوانه، تح: كرم البستاني، دار صادر بيروت، دار بيروت للطباعة و النشر، (د.ط)،1964م، ص:190.

8- الصاوي محمد إسماعيل عبد الله، شرح ديوان جرير، دار الأندلس للطباعة و النشر بيروت، (د.ط)،(د.ت) ص:436.

تلك هي أهم الوظائف التي تقوم بها السخرية، وظائف لها دورها و قيمتها في الحياة عامة و في الإسهام في التطور و النهضة خاصة، كما يمكن أن نقول أن لها دورها في كل أدب و في كل عصر .

5)- المرجعية الثقافية للسعيد بوطاجين:

أ- مولده و دراساته: هو قاص و روائي و أستاذ جامعي و لد يوم **06 جانفي سنة 1958** بتكسانة **(جيجل)** بالشرق الجزائري، إلا أنه نشأ بالجزائر العاصمة، زاول دراسته بها، فنال شهادة الليسانس في الآداب قسم اللغة العربية "**جامعة الجزائر** " و هذا سنة **1981**، التحق بباريس أين تحصل على دبلوم الدراسات المعمَّقة **بجامعة السربون** عام **1982**، و كذا دبلوم تعليمية اللغات **جامعة غرونوبل بفرنسا** سنة **1994**.

بعد هذا عاد إلى الجزائر فتحصل على ماجستير النقد الأدبي في السيمياء من **جامعة الجزائر**عام**1997**، كما نال شهادة دكتوراه دولة في **النقد الجديد (المصطلح النقدي و الترجمة) بجامعة الجزائر** عام **2007م**. [1]

ب-المناصب التي شغلها:

شغل السعيد بوطاجين مناصب عديدة بجامعات عدة سواء داخل الوطن و خارجه من أهمها:

- أستاذ بجامعة تيزي وزو قسم الآداب الجزائر.
- أستاذ مشارك بجامعة الجزائر (قسم الليسانس و الماجستير).
- كما شغل منصب أستاذ بجامعة تيزي وزو الجزائر قسم اللغات الأجنبية (فرنسية /قسم الليسانس و أستاذ بمعهد اللغات الأجنبية /فرنسية قسم الماجستير بجامعة تيزي وزو الجزائر.

شغل أيضا منصب أستاذ مشارك بجامعة أم البواقي و جامعة تبسة بمدرسة الدكتوراه.

بالإضافة إلى ما سبق نقول أن السعيد بوطاجين شغل منصب أستاذ مشارك **بجامعة ميلانو** و **جامعة بافيا بإيطاليا** (قسم الليسانس و قسم الدراسات العليا). [2]

1- هذا ما أفادنا به القاص في مراسلة خاصة يوم 2010/05/18 على الساعة 12.00.

2- نفســـــــــــه.

قام السعيد بوطاجين برئاسة تحرير العديد من المجلات أهمها :

- مجـــــــــلة أمـــــال.
- مجـــــلة القصـــــة من 1998م إلى 2000م.
- مجلة الثقافة عن وزارة الثقافة، الجزائر، من 2000م إلى 2002م.
- مجلة الخطاب، حيث كان من ضمن الأعضاء المؤسسين بجامعة تيزي وزو. الجزائر من 2005م إلى 2007م.
- مجلة المعنى بجامعة خنشلة الجزائر من 2008 إلى 2009م كما شغل السعيد بوطاجين منصب مدير تحرير مجلة الخطاب برئاسة الأديب الطاهر وطار بالجزائر من 2006م إلى 2007م.

ج- خدماته العلمية :

له الفضل في التأسيس للعديد من الملتقيات الدولية و مخابر الترجمة من بينها:

- الملتقى الدولي "**عبد الحميد بن هدوقة**" من 1998م إلى 2009م.
- رابطة السيميائيين الجزائريين جامعة سطيف الجزائر 1998م.
- كما كان أمين عام الجاحظية برئاسة الطاهر وطار الجزائر من 2003 إلى 2006م و له الفضل في تأسيس مخبر الترجمة بجامعة الجزائر.
- عضو مؤسس للمقهى الأدبي ببرج بوعريريج الجزائر من 2005م إلى 2007م .
- قام بالإشراف على منتدى الفكر العربي هذا بالتنسيق مع المكتبة الوطنية الجزائرية سنة 2005م.
- و يُعَدُّ أيضا عضوا مؤسسا للملتقى الدولي (**أبو العيد دودو**) بجيجل الجزائر 2009.

د- خبراته و مجالات تدريسه:

من خلال قسمين: قسم الليسانس و قسم الماجستير:

د:1- الليسانس : تمثلت في الأدب العربي القديم شعرا و نثرا، الآداب الأجنبية ، الأدب المقارن نظرية الأدب، المنظورات القديمة و الحديثة للخطاب بأنواعه، الأدب العربي الحديث و المعاصر.

- **الترجمة:** نظرية الترجمة مفهومها و ممارستها.

- **السيمياء:** أصولها المعرفية قواعدها و أدواتها الإجرائية، علم السرد .

- **النقد العربي القديم و الحديث:** و الأدب الجزائري بالغتين العربية و الفرنسية.

د:2- قسم الماجستير:

- **علم المصطلح:** من خلال وضع المصطلح و استعمالاته في الحقول اللسانية و في المناهج النقدية المعاصرة على المستويين العربي و الغربي كيفيات استقبال المصطلح من خلال ترجمته و توظيفه في النقد الأجنبي و في الدراسات العربية.

- **تحليل الخطاب:** فيما يتعلق بكيفية تحليل أنواع الخطابات اللغوية و غير اللغوية سواء كان الخطاب أدبي أو سياسي أو ديني أو قانوني أو روائي أو شعري أو قصصي أو مسرحي...الخ.

- **المناهج الأدبية الحديثة:** فيما يتعلق بخلفياتها المعرفية، حقولها و كيفيات تطبيقها على النصوص المختلفة.

ه- كتبه و مؤلفاته: منها الإبداعية، و منها النقدية كما لا نستثني ترجمته للعديد من المؤلفات.

ه:1- الإبداعات: منها ما يتعلق بالقصص و ما يتعلق بالروايات.

1- **ما حدث لي غدا:** ترجمت إلى الفرنسية و تترجم حاليا إلى الإيطالية.

2- **وفاة الرجل الميت(قصص):** ترجمت إلى الفرنسية كذلك.

3- **اللعنة عليكم جميعا(قصص):** ترجمت إلى الفرنسية كذلك.

4- **أعوذ بالله(رواية):** طبعت عن دار الأمل، تيزي وزو الجزائر هي الآن قيد الترجمة إلى الفرنسية.

5- **أحذيتي و جواربي و أنتم (قصص):** طبعت عن دار الريحانة للنشر الجزائري.

6- **تاكسانة بداية الزعتر آخر الجنة.**

ه:2- المؤلفات النقدية:

1- **الاشتغال العاملي** "**دراسة سيميائية لرواية غدا يوم جديد لعبد الحميد بن هدوقة**" عن منشورات الاختلاف الجزائري 2000م.

2- السرد و وهم المرجع: مقاربات في النص السردي الجزائري الحديث عن منشورات الاختلاف، الجزائر2006م.

3- **الترجمة و المصطلح:** دراسة في إشكالية ترجمة المصطلح النقدي الجديد عن منشورات الاختلاف الجزائري، و الدار العربية للعلوم (ناشرون) بيروت2008م.

ه:3- الترجمات: قام السعيد بوطاجين بترجمة العديد من الروايات لروائيين مختلفين أهمهم:

- **مالك حداد:** ترجم له رواية الانطباع الأخير la dernière impression عن منشورات الاختلاف، الجزائر و الدار العربية للعلوم (ناشرون)بيروت لبنان.

- **كاتب ياسين:** حيث ترجم روايته نجمة nedjma، عن منشورات الاختلاف الجزائر.

- **نجيب انزار:** ترجم له مع آخرين ديوان " **كائنات الورق** " d' objets en papier ترجم الديوان إلى الفرنسية عن اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر 2006م.

- **حميد قرين:** ترجم له كتاب vivez votre journèe par lilas أي عش يومك قبل ليلك، عن منشورات ألفا، الجزائر.

- **كريستيان شولي عاشور:** صاحب موسوعة nouvelles algériennes عن منشورات ألفا الجزائر ترجمها بوطاجين إلى العربية.

- **صادق عيسات:** ترجم له حي الجرف la cité du précipice و عام الكلب la année du chien عن منشورات ألفا الجزائر.

- **فرانسوا تريفو:** ترجم له أفلام حياتي : أي les filmes de ma vie في أبو ظبي .

أما الآن يشتغل السعيد بوطاجين في ترجمة قاموس الرموز **لترودروف** مع مركز الدراسات العربية بيروت.

ه:4- المقالات العلمية : للسعيد بوطاجين مقالات عديدة في مجالات مختلفة أهمها:

اللاسرد في رواية الانطباع الأخير لمالك حداد: دراسة لتمفصلات التوقعات و المشاهد، مجلة اللغة و الأدب جامعة الجزائر.

- **تيميمون رواية رشيد بوجدرة** دراسة سردية عن مجلة اللغة و الأدب جامعة الجزائر.
- **شعرية السرد** في رواية " غدا يوم جديد لعبد الحميد بن هدوقة "
- **مستويات استقبال المصطلح،** خنشلة كتاب الملتقى الدولي للمناهج خنشلة 2006م.
- **المقالة و القصة الغربية** " دراسة سيميائية مقارنة، الشعب، الجزائر 1990م.

كما قدَّم بوطاجين لكتب مختلفة منها ما هو إبداعي و ما هو نقدي .

أما الإبداعي نذكر منه:

تقديمه لكتاب **بقايا رجل** (قصص) **لعبد الوهاب تامهاشت** عن منشورات اتحاد الكتاب الجزائر،2002م.

قدم لكتاب **زمن المكاء**(قصص) **للخير شوار** عن منشورات الاختلاف الجزائر 2003م.

- **رسائل** (قصص) **لحكيمة صبايحي** عن منشورات الاختلاف، الجزائر 2003م.

أما النقدي منها نذكر تقديمه لـــ:

مقدمة في السميائيات السردية (دراسة نقدية) للدكتورة:نادية بوشفرة، دار الأمل الجزائر 2008م.

مفاهيم سردية (دراسة نقدية) للدكتورة: **نادية بوشفرة** الأردن 2009م. [1]

1- هذا مل أفادنا به القاص يوم 2010/08/15، على الساعة 00: 12.

و- أبرز ما قيل حول النص البوطاجيني :

كان و لا زال النص البوطاجيني محل لفتات العديد من المبدعين و الباحثين و الناقدين، منهم **بشير مفتي** الذي يقول: " يختزن أسلوب السعيد بوطاجين نفسية شعرية قوية، و أسلوبا مجازيا رائعا، يضع الكتابة القصصية في مواجهة مع الجنس الأدبي نفسه؛ بتجاوزها لما هو متعارف عليه في القصة القصيرة. "

و يقول **إبراهيم سعدي:** " إن كثيرا من حالات الإضحاك في المجموعة ناتجة عن توظيف خاص للغة، فاللغة في المجموعة تفقد قدسيتها، و تصبح موضع سخرية منتجة للضحك، و مع ذلك كم هي جميلة لغة بوطاجين. [1]

يقول **الحبيب السائح:** "إن سلطة نص بوطاجين من طبيعة أخرى في المتن القصصي الجزائري المعاصر، و هي ذات سطوة فنية؛ لأنها تقول سخريتها باللذاعة اللبقة، و سوداويتها بالسطاعة الشفافة، و تكتب نفسها بلغة مفكوكة من قيد المعتاد." [2]

من خلال ما سبق نجد أن **بشير مفتي** في قوله يركز على أسلوب السعيد بوطاجين؛ حيث يعده الأساس في تميز الكتابة القصصية لدى الكتاب التي تتجاوز كل ما سبقها.

أما **إبراهيم سعدي** فقد ركز على الإضحاك كظاهرة بارزة لدى بوطاجين .

الإضحاك الناتج – حسب رأيه – عن التوظيف الخاص للغة بحيث تصبح هي المصدر المنتج للسخرية.

أما **الحبيب السائح** يكاد يجمع بين القولين السابقين بل و يتجاوزهما حيث يتعمق في طبيعة تلك السخرية (لذعة، لبقة، سوداوية)

1- بوطاجين السعيد، ما حدث لي غدا، منشورت الاختلاف، ط2، (د.ت).

2- نفسه .

الفصل الأول

مضامين السخرية في قصص السعيد بوطاجين:

(ما حدث لي غدا) و **(وفاة الرجل الميت)** و**(اللعنـــــة عليكم جميعا)** من أهــم ما كتب **السعيد بوطاجين** في السخرية، و قــد أنشأها لنقــد المجتمــع شعبا و سلطــة بما فيه من عادات و تقاليد و أعراف – كما سيتضح – لأن الشخصيات متنوعة و مختلفة باختلاف المجتمع، إلا أننا نقول إنها نصوص محبة، و غاضبة ، ناقمة، و مدافعة، شرسة و حنونة، هي كتابات تعنى بالإنسان و الإنسان فقط.

إن القارئ لتلك المجموعات القصصية يجد أنها تجمع بين أمور خمسة، منها ما يتعلق بالصفات الجسمانية للعديد من شخصيات القصة، أراد القاص من خلالها أن يبرز شيئا معينا و منها ما يتعلق بالجانب الاجتماعي من خلال نقد المجتمع و بعض مظاهره، و منها ما يتـــــعلق بالجانب الثــقافي في تركيزه على الظــروف التي يعاني منها المثقف، بالإضـــافة إلى ذلك الجانب النفسي للمـــــبدع (و نقصد به الظــروف النفسية التـــي جعلته يُسَخِّــر كل الجوانب الســـابقة في سخريته و في نقــده) كما لا ننسى الجانب السياسي، و تأثيره على الجوانب السابقة .

من خلال ما سبــق ذكره حول المجموعات القصصية الثلاث نجـــــدها تعتمد على السخرية في أساسها، حيث تتجلى في مواضيع مختلفة، و تنـــــصب في نواحي متعددة هي النواحي: الجسمية و الاجتماعية، و الثقافية، و السياسية، بالإضافة إلى النفسية، سنتناولها بالترتيب.

1)- المضمون الجسماني (الخلقي):

استعان بوطاجين في سخريته على المضمون الجسمي، فالقارئ لقصصه يستشف هذا من خلال تركيزه على نواحي متعددة، و على شخصيات مختلفة؛ لأنها تتعلق بالمجتمع ، لهذا كله كانت أعضاء الجسم المادة الخصبة لسخريته – كما سنوضح – بحيث اعتمد على الفم ثم الأنف و الشوارب و ركَّز أيضا على السُّمنة التي تتعلق دائما بالبطن، و لا يهمل بوطاجين الهيئة العامة للشخصية.

أ)- سخريته من الهيئة العامة :

في سخريته من القاضي في قصة (**اعترافات عبد الله اليتيم**) في (ما حدث لي غدا) نجده يركز على الهيئة العامة للقاضي ثم ضخامة جثته، فجعل منها مصدر تهكم، إذ يقول:" قطعة لحم تنسحب في هدوء و وقار من حثالة الفكر الذي لا يحتوي على مثقال ذرة من الإحساس..." [1] .

من خلال ما سبق نقول إن ضخامة الجثة هنا هي السبب في فقدان الإحساس وعدم الشعور بالأبرياء و الضعفاء، ثم يغرق في سخريته من ضخامة القاضي ليشبهه مرة بالمرأة الحامل و أخرى بالفيل يقول في الأولى: " كان بدينا لا يختلف عن امرأة في شهرها التاسع..." [2]

و يقول في الثانية : " لا يختلف عن فيل أصلع شاسع متكئ على كرسي عريض أنيق براق..." [3]

كما يقول أيضا :" كان جاحظ البطن ناتئ الخدين...." [4]

لا ينسى بوطاجين أشخاصا آخرين لهم اليد في ظلم **عبد الله اليتيم** هم أولائك الذين داهموه في بيته، حيث يسخر منهم و من ضخامة أجسامهم إذ يقول :" كانوا مثل كتل من الصقيع تجدف بالخلق و النعيم قديسين شدادا غلاظا..." [5]

1- بوطاجين السعيد، ما حدث لي غدا، ص:08.
2- نفسه، ص:13.
3- نفسه، ص:20.
4- نفسه، ص:16.
5- نفسه، ص:13.

تصل السخرية و التهكم إلى ذروتها في قصة (**السيد صفر فاصل خمسة**)، أين نجده يسخر من هيئة أحد المديرين المسؤولين إذ يقول: " كان منظره لا يختلف عن مسوَّدة لتلميذ في السنة الأولى ابتدائي .." [1]

في (**الوسواس الخناس**) من (وفاة الرجل الميت) يقول :" بطن فاتئ ... و لم يكن بدينا بما فيه الكفاية ....." [2]

لا يهمل بوطاجين الظروف التي أثَّرت على شخصيات قصته وعلى منظرهم وهيئتهم العامة فيقول عن عبد الوالو من نفس القصة:" تابع بعدما سوى رباط العنق الذي صنعه من ورق الجرائد ..." [3]

و في محاولته تسليط الضوء على شخصية مثقفة، أراد بوطاجين أن يسخر و يتهكم من الظروف التي يعاني منها المثقف فقال:" حتى هيئتي بدت مؤسفة و غير صالحة للفن، و اعتقدت أني برمجت لأكون قردا..." [4]

و يسخر من هيئة الرجل الذي قصدته **الخالة وازنة*** لخدمة ما، هذا الرجل هو مسؤول في الجامعة يقول:" لم يتغير، فقط سترته التحمت بالقميص، اعوَّجت كثيرا، و انقرضت ياقتها..." [5]

و في قصة (**علامة تعجب خالدة**) من (اللعنة عليكم جميعا) يصور معاناة جندي (**فرانز كافكا**)** في ثكنة إذ تعرض إلى عقوبة و أحيل إلى محكمة عسكرية، يسخر القاص من الضابط على لسان فرانز كافكا عندما قال له :" لماذا أنت ضخم الجثة يا حضرة ؟ [6]

من خلال ما سبق ذكره حول الهيئة العامة و ضخامة الجثة لشخصيات القصة، نلاحظ أن كل من وصفوا بالضخامة هم مسؤلون أراد بوطاجين أن يبرز أثر انعدام المسؤولية، و الإهمال الذي انعكس على الجسم و الهيئة.

1- السابق ، ص:26.
2- بوطاجين السعيد، وفاة الرجل الميت، نشر رابطة كتاب الاختلاف، ط:1، ماي 2000، ص:15.
3- نفسه، ص:38.
4- نفسه، ص:99.
*- امرأة قبائلية كانت تعمل منظفة بجامعة تيزي وزو حسبما صرح به القاص.
5- بوطاجين السعيد، وفاة الرجل الميت، ص:126.
**- هو في الأصل كاتب تشيكي يهودي ولد يوم 03 يوليو 1883 ، كتب بالألمانية ، رائد الكتابة الكابوسية يعد أحد أفضل أدباء الألمانية في فن الرواية والقصة القصيرة من مؤلفاته : المسخ ، المحاكمة ، القلعة ، الغائب ، طبيب قروي وقصص أخرى ، بنات آوى والعرب توفي يوم 03 يونيو 1924 .
6- بوطاجين السعيد، اللعنة عليكم جميعا، منشورات الاختلاف، ط:1، أكتوبر 2001 ، ص:76.

ب)- الفم والشوارب :

في تصويره للمسؤولين و الحكام و هم يزورون قبور الموتى في المناسبات ينعتهم بالعديد من الصفات أهمها النفاق إذ يقول على لسان الراوي في **(أعياد الخسارة)** من (ما حدث لي غدا) : " مع مطلع كل مناسبة يذهبون رفقة شواربهم الذميمة ليضعوا أكاليل على قبور الموتى ليفسدوا راحتهم، و عندما يعودون ينصبون مشانق للأحياء...." [1]

في وصفه **لأحمد الجعدي** في **(سيجارة أحمد كافر)** و هو يتذكر الماضي و مغامراته مع معلمه و عقاب العم التيجاني، يقول على لسان الراوي و هو يسخر من هيئته :"جرح من أنفه و انتفخت شفتاه المنتفختان مطبعيا..." [2]

كما يصور **مديرالخير** في **(وفاة الرجل الميت)** يقول: " شوارب فرَّت من العصر الانكشاري*..." [3]

في تذمره من أحد المسؤولين أصحاب المكاتب في الجامعة الذين قصدتهم **الخالة وازنة** لخدمة تخصها يقول:" فتح جهاز النتانة ...." [4] هذا عندما سألها عما تريد، و يقول كذلك عن نفس الشخص :" كانت شواربه الهتلرية** معلقة تحت أنفه مثل بقعة حبر سوداء منفوشة ضجرة...[5]

إن هذا التصوير مضحك يجعلنا نضحك من الهيئة التي صوَّرها بوطاجين و من التمثيل الذي وضعه لهذه الشخصية.

أما في **(اللعنة عليكم جميعا)** يحدثنا الراوي عن جده، و عن السيئين و الكذابين الذين لا ينقطعون عن الكلام بعد موتهم – على حد تعبيره – حيث يشبه أفواههم بأعشاش اللقالق إذ يقول :" تظل أفواههم مفتوحة كأعشاش اللقالق..." [6]

1- بوطاجين السعيد، ما حدث لي غدا، ص:48.

2- نفسه، ص:136.

*- نسبة إلى الجيش الإنكشاري، وهو جيش منظم أحدثه العثمانيون في القرن 14 لكنهم فقدوا الروح العسكرية وتمردوا على الدولة فأبادهم السلطان محمود الثاني عام 1862 م

3- بوطاجين السعيد، وفاة الرجل الميت ص:15.

4- نفسه، ص:122.

**- نسبة إلى هتلر و هو زعيم الحزب الوطني الإشتراكي النازي مستشار ألمانيا 1933 م ورئيس أعلى للدولة الألمانية عام 1934 م أشعل الحرب العالمية الثانية .

5- بوطاجين السعيد، وفاة الرجل الميت، ص:129.

6- بوطاجين السعيد، اللعنة عليكم جميعا، ص:24.

من نفس المجموعة يتحدث القاص عن **محمد بن عبد الله**، و هو شاعر مسجون ببلدة تعاني الجهل و الفساد، و السبب في ذلك الملك الذي تجاوز غباؤه حد الحد، ففي هذه القصة يضحك **محمد بن عبد الله** من نفسه إذ يقول :" كانت هيأتي مضحكة و أنا أخطب حافي الفم ..." [1] قال ذلك عندما كان يحاول أن يصلح و لو القليل مما أفسده الحكام في تلك القرية، و ما تسببوا فيه من جهل، لكي يرسي مبادئ تفتقدها القرية من عمل، و عدل ....، لكن دون جدوى.

في سخريته من **الضابط** من خلال حديثه عن **فرانزكافكا** في **(علامة تعجب خالدة)** يقول :" في حمأة الدوَّار و حالة الفزع كان يشم رائحة كلام الضابط ذي البشرة البنية المتكلسة و الشوارب الانكشارية العريضة، و الأسنان المذهَّبة اللامعة التي تشبه لآلئ في ليل داج قميئ*مرصَّع بميداليات من مربى الدود ..." [2]

من خلال هذا نجد أن بوطاجين في سخريته من **الضابط** يعتمد على الشوارب و الأسنان التي يغرق في السخرية منها.

مما سبق ذكره حول توظيف بوطاجين للفم و الشوارب و في سخريته و تهكمه من بعض الشخصيات نقول، إنه في الفم يركز دائما على شكله و حجمه، كما يركز على الأسنان حيث أن انعدامها كان مادة خصبة لسخريته، أما عن الشوارب فيركز على شكلها حيث كانت المرجعية التاريخية السبيل إلى ذلك (انكشارية، فرت من العصر الانكشاري ، هتلرية ....)

1- السابق، ص:45.

*- قميئ بمعنى ذليل صغير .

2- بوطاجين السعيد، اللعنة عليكم جميعا، ص:75.

ج) – بقية أعضاء الجسم:

في بقية الأعضاء سنركز على الأنف و الأرجل....، و لقلة توظيفها في مجموعاته القصصية ارتأينا أن نجمعها في عنصر واحد.

في سخريته من شرطي في **(الوسواس الخناس)** من **(وفاة الرجل الميت)** ذلك الشرطي الذي يسأل الجميع عما يحدث، و ماذا يعملون ومن قتلوا يقول بوطاجين: "ماذا تعملون هنا؟ ما هذه البلبلة ؟ و حك أنفه المبطط. " [1]

أما في **(هكذا تحدثت وازنة)** يسخر من الظروف الصعبة التي تعاني منها **الخالة وازنة** ، تلك الظروف المزرية التي خلفت لها الألم و الوجع يقول :" في منحدر الجامعة كنت تتنحبين و صهيل الوجع ينبثق من خصرك الناحل كخصر نملة ..." [2]

من خلال ما سبق ذكره حول المضمون الجسماني و حول عالم الشخصيات القصصية لدى بوطاجين يمكننا أن نقسمها قسمين أو صنفين كما قسمها الأستاذ **أحمد خياط** في مقال بعنوان " نحو تجاوز لسميولوجيا الشخصية عند فيليب هامون ، السيد صفر فاصل خمسة و أحمد الكافر و وازنة نموذجا." [3]

الصنف الأول تتجه شخصياته في تواصل من **عبد الوالو** إلى **عبد الله اليتيم** مرورا **بأحمد** ثم **يعقوب** (أعياد الخسارة) و أخيرا **وزانة**، تتجه الشخصيات من الصدق و البراءة إلى التوحد و الصبر و الحكمة، أما الصنف الثاني من شخصيات بوطاجين فينطلق في حركة لولبية من **السيد صفر فاصل خمسة** ، أو **كبيرهم الذي علمهم الخبث** ، و **القاضي** (خطيئة عبد الله اليتيم).

في الصنف الأول كان بوطاجين يسخر من الظروف التي أثّرت على الهيئة العامة للشخصية أما في الصنف الثاني فكان يسخر من الهيئة نفسها؛ لأنهم مصدر إيذاء و ظلم للصنف الأول.

1- بوطاجين السعيد، وفاة الرجل الميت، ص:11.

2- نفسه، ص:121.

3- مجموعة من الأساتذة والباحثين، النص و الظلال، فعاليات الندوة التكريمية حول الدكتور السعيد بوطاجين، جوان2009 دار الأمل للطباعة و النشر و التوزيع، مدوحة تيزي وزو، ص:11.

2)- المضمون الاجتماعي:

تنطلق قصص السعيد بوطاجين من الواقع و مظاهره كما سبق و أن أشرنا، فالحياة الاجتماعية جزء لا يتجزأ منه؛ لأنها تكشف على الدوام عن أوجه المفارقة و التناقض طالما ثمة صراع يغذيه التنافس من أجل البقاء، و الظفر بفرص العيش في واقع عادة ما يسيطر فيه القوي على الضعيف و تغيب فيه شمس الحق، فتغدو الحياة تملقا و زيفا يكثر فيها المفسدون و يقل الصالحون و المصلحون.

و ما يميز كتابات بوطاجين الإبداعية أنها قاسية اللذع، بالغة الأثر سيما حين يتصل بالأشخاص و بمشاهدة الحياة العكرة التي تطبع أحوالنا و تحيط ببيئتنا.[1]

لذالك فهو يسخر من الواقع المعيش و من الظروف الصعبة التي يعيشها الإنسان في ظل الفقر و الحرمان، و يسخر من المتسببين في ذلك، كما يسخر من الشعب و من الكل إن اضطرته الظروف لذلك، هذا ما يجعلنا نقسم المضامين الاجتماعية على قسمين.

أما الأول يتعلق بسخريته و تهكمه من الشعب ككل و أهل المدن خاصة.

أما القسم الثاني نخص به سخرية القاص من الواقع المعيش و من عدم تقدير الإنسان كنتيجة حتمية للأولى، ليصل في الأخير إلى السخرية من الأمة العربية ككل.

أ- سخريته من الشعب و من أهل المدن و القرى:

في (ما حدث لي غدا) و في قصة **(خطيئة عبد الله اليتيم)** يكشف بوطاجين الستار عن حالة التعفن التي تسود أجهزة العدالة، حيث تصادر حقوق الناس بنوع من العبث و الاستهتار في ممارسة السلطة واتخاذ القرارات تحت سلطة منطق جبان لا علاقة له بأبسط متطلبات الفهم و الرؤية، كل ذلك يجري في مجتمع يحكمه منطق الخضوع و الخنوع وهو وضع في حقيقة الأمر يبعث إلى الامتعاض و اليأس لما فيه من اختلال في الموازين و القيم و تشويه لحقائق الأشياء و تحريف لمسمياتها.

1- ينظر السابق، ص:183/184.

القصة تجسد شخصية عبد الله اليتيم الإنسان المثقف الذي يمتلك رؤية مشرقة عن الحياة و الوجود، يصطدم بالقوة المهيمنة قوة الفساد و الاستبداد متمثلة في شخصية القاضي، كما يصطدم بموقف الجميع (الشعب) كما هو موضح في هذا الشكل:

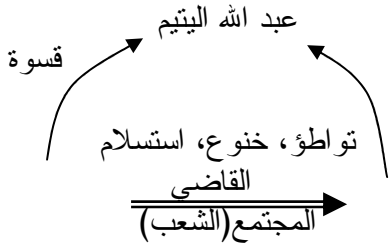

ما يهمنا هنا هو موقف المجتمع الذي لا يعني غير الشعب، و هو موقف يكشف عن التواطؤ و الخنوع و الاستسلام لمنطق الجشع و الظلم،[1] ربما هذا ما تؤديه عبارة (يحيا العدل...يحيا العدل...) إذ يقول القاص على لسان الراوي: " و قبل أن يساق إلى حيث لا يدري أحد سمع الناس يرددون بأصوات عالية سمعتها الحجارة :" يحيا العدل... يحيا العدل،المجد والخلود للسلطان..." [2]

عبارات دالَّة عن خمول الضمير الجمعي ... و هي صورة يطبعها العبث ، تفتقد لأدنى مقوم حيوي، مقولته على مقاس من يمثلونها في مجتمع تتقاسمه الأرواح المستبدة، ضميره الجمعي أكثر قساوة من الحجارة في مجتمع أفراده صم بكم لا يفقهون " صورة تقشعر لها الأبدان، لكنها حقيقة أراد أن يعبر عنها القاص بنوع من الكوميديا السوداء." [3]

1- ينظر السابق، ص:185.
2- بوطاجين السعيد، ما حدث لي غدا، ص:20.
3- مجموعة من الأساتذة والباحثين، النص و الظلال، ص:185.

في **(و حي من وجهة اليأس)** من نفس المجموعة يسخر من أهل المدينة الذين لا رأي لهم و لا إحساس يعيشون عبثا و كأنهم أقمشة متحركة، لهذا فهو متذمر متعب من الدنيا إذ يقول: " كم هو ممتع أن لا تجد ما لا يرضيك في شوارع خاصة بالثرثرة و قطع القماش المتحركة..." [1]

هذا ما يجعله يكره البشر ليس بما فيه الكفاية؛ لأنه لم يشف غليله حيث يقول: " سأعترف بأني لم أمقت هذه العجينة البشرية بما فيه الكفاية، و أني موشك على فقدان طاقة الحب في مدينة لا تسمو إلى خترفة نائم..." [2]

الخنوع و الاستسلام و انعدام الإحساس كل هذا من شأنه أن يدعو القاص إلى كراهية هذا النوع من البشر، ليعمم كرهه على الكل؛ أي لكل سلالة البشر، لنجده يقول في **(اعترافات راوية غير مهذب)** : " ليس بمقدور أحد إصلاح العطب، الخلل في السلالة كلها التي عقدت صفقة مع العوج العام ...." [3]

و يبقى السبب الأساسي في ذلك الكره في أنه لم يصبح هناك أي اعتبار للصديق و الزميل و الأب، و الجار، و الأخ، أو الشرطي؛ لأنهم كلهم أصبحوا متآمرين، الكل أصبح يجري وراء مصالحه حيث يقول :" في هذه المدن المشبوهة يتآمر عليك زميلك و أبوك و جارك و أخوك و الشرطي..." [4]

و بالرغم من ذلك إلا أنه يأمل في النهوض، بل و يدعو إليه عسى أن يطالب المجتمع (الشعب) بحقه؛ لأنه يقول في **(الوسواس الخناس)** من (وفاة الرجل الميت):"انهضوا يا بؤساء العهد المظلم، أيها الجيل المعطوب بالوراثة، المسكين بالوراثة، المتهم بالوراثة ...أيها الفقراء و العراة ....و ذوو المعدات اليابسة ..." [5]

يدعوهم بنبرة أكثر حدة في**(و للضفادع حكمة)**من(اللعنة عليكم جميعا)حيث يقول على لسان **سليمان البوهالي:**"يا ناس يا وجوه الطاعون و الذل،تصنعون السل و تشكون،و تقتلون أنبياءكم و تحزنون ألا تستحون ؟" [6].

1- بوطاجين السعيد، ما حدث لي غدا، ص:85.
2- نفسه، ص:88.
3- نفسه، ص:102.
4- نفسه، ص:116.
5- بوطاجين السعيد، وفاة الرجل الميت، ص:08.
6- بوطاجين السعيد، اللعنة عليكم جميعا، ص:104.

ب- سخريته من واقع و ظروف المعيشة :

في أغلب قصصه يركز بوطاجين على الظروف التي يعاني منها سكان هذه المدينة أو تلك، إذ أن الفقر هو الموضوع الأساس في ذلك، حيث يقول في **(أعياد الخسارة)** من (ما حدث لي غدا) : " أصبح سعر الشاة أغلى من سعر صاحبها ".[1]

يسخر أيضا من ظروف الفقر التي جعلت من **يعقوب** يكره بل يمقت المناسبات فيقول:" كان العيد سيِّدا متعجرفا يتظاهر بالتقوى، يدخل الديار قسرا و يهتك أعراض الفقراء طالبا الفدية يعري البئر المغطاة و إلى الفقر تنضاف المذلة و مع انكسار العمر تعلم يعقوب كيف يمقت المناسبات..."[2]

تحكي القصة السالفة الذكر عن **يعقوب** و معاناته من الفقر " هو أب لسبعة و الثامن في الطريق بعد شهر سيصل بابا حليب، بابا سروال، بابا قلم، بابا كراس، بابا مريض، بابا حلوة....بانتظار وصول القانون من الهند أو الصين عملت في كل جهة..." [3]

كما ينقل القاص في **(جمعة شاعر محلي)** صورة اللامبالاة و عدم الاكتراث بحقائق الأشياء في واقع مليء بالتناقضات.[4]

إذ يقول:" و العمل ؟ لماذا العمل اللذين يعملون يموتون هما، و أبناء الجبن و الكسل يعيشون كالملوك و السلاطين و أمراء الزنازن يولدون متقاعدين و لا يموتون مثلنا، نحن المعرضين لكل أنواع الجنون الناتج عن التفكير، اليوم سأحيل نفسي إلى التقاعد لأدرك بقية الحقائق، بالكسل يا صديقي العزيز تقي نفسك شر الالتهابات الثقافية و سرطان الدماغ والقروح الشعرية المختلفة و به ترقى الأمم المتخلفة المتأففة..." [5]

1- بوطاجين السعيد، ما حدث لي غدا، ص: 43.
2- نفسه، ص:45.
3- نفسه، ص:49.
4- ينظر النص و الظلال، ص: 190.
5- نفسه، ص:64.

هي صورة وفّق القاص في نقلها بأسلوب ساخر يهدف إلى رسم ملامح الذات الممزقة على مرآة الحقيقة.[1]

يقول في **(وحي من جهة اليأس):** " في الأسابيع الماضية ستظل جيوبي محفوفة بالصدى و أبي لهب، و أبي عطب، و أبي نهب، و أبي هرب و مشتقاتهم كما حدث في الشهور الآتية تماما..." [2]

يركز القاص هنا على ظروف الفقر التي هي نتيجة للنهب و السرقة، و بأسلوب المفارقة أراد أن يبرز بأن الحاضر و المستقبل لن يكون أحسن من الماضي.

أما عن التهميش الذي يعاني منه المواطن خاصة من طرف الإدارات يأخذ **خالتي وازنة** كنموذج في ذلك، حيث يضعنا في ظروفها السيئة التي تعاني منها ليقول :" من يومها أصبحت و المكنسة توأمين متلازمين يهيمان تحت سماء هامدة تعج بأقداح الضوء المهمشة و خيوط الشمس المحجوزة خلف الأسلاك..." [3]

في (**من فضائح عبد الجيب**) من (ما حدث لي غدا) ينقل القاص مرارة الواقع الأليم من تغييب لشريحة كبيرة من المجتمع تقف بعيدة عن مركز السلطة و أخذ القرارات التي ينفرد بها أناس لا علاقة لهم بالسلطة إلا من باب المنفعة هذا ما يجعلهم خطرا على البلاد و العباد.[4]

هي صورة أراد القاص أن يبرزها عن طريق تسليط الضوء لشخصية قام بدورها الراوي و ما هي إلا شخصية كغيرها من الشخصيات تعاني الفقر و الدليل على ذلك حذاء الخال الذي ورثه بمشقة، و ما يؤكد ذلك قوله :" كنت تحت الفقر بعدة أميال ...." [5]

و يقول أيضا: " أيُّها الشعب الكريم ، أيُّها الشعب العظيم ، أيُّها الشعب المريض بقرحة المعدة مثلي المثقوب الحذاء مثلي، المنهوب، المسلوب، المقتول مثلي، أيها المثلي ..." [6]

1- بوطاجين السعيد ، ما حدث لي غدا، ص: 64.
2- ينظر النص و الظلال، ص:190.
3- بوطاجين السعيد، ما حدث لي غدا، ص:84.
4- بوطاجين السعيد، وفاة الرجل الميت، ص:08.
5- مجموعة من الأساتذة والباحثين، النص و الظلال، ص:30.
6- بوطاجين السعيد، اللعنة عليكم جميعا، ص:44.

إذًا نقول: إن شخصية **الراوي** ما هي إلا صورة مصغَّرة أراد القاص تعميمها على الشعب ككل، لأن الظروف و الأوضاع السيئة من فقر، و جوع، و تعرض للسرقة، و قتل، مشتركة يعاني منها كل الشعب.

أما في قصة (**37 فبراير**) من (اللعنة عليكم جميعا) يسلط القاص الضوء على تعفن الوضع و الإحساس المرير بلا جدوى الحياة، و منه التصدع الذي أصاب المجتمع في العمق مما جعل الشرخ يكبر كل يوم، و الموت ينقض من كل صوب و المثقف مستهدف يقف حائرا بين المطرقة و السندان، فلا هو قادر على إبداء رأي يسهم في حل الأزمة؛ لأن صوته، و فكره ملعون .[1]

يتجلى كل ذلك في تواني النظام السلطوي عن خدمة (**ابن آدم**) الذي أراد أن يصحح تاريخ ميلاده، و ابن آدم ما هو إلى جزء من كل (**شعب**) حيث يقول عنه: " هكذا عاش ابن آدم في غابة مع الشجر دون أن يعرف لون الكهرباء، لكن الناس أحبوه لعفويته، عفوية الإنسان الذي انقرض بفعل الهرولة وراء الراتب و الرتب...." [2]

في (**علامة تعجب خالدة**) يعود بنا القاص إلى ظروف تغير الزمن، و النتائج المترتبة عن ذلك حيث يقول :" في هذا الزمان العصيب، زمن الأنصاب، و الميسر، و الأفئدة المطحلبة، يصبح الموت من أقدس المقدسات. [3]

فالشعب لم يعد يهمه جوهر الأشياء، لم يعد يهتم بما من شأنه أن يطوره و ينهض به، ما يهمه إلا الخنوع و الاستسلام للسلطان و زوجته إذ يقول على لسان **فرانزكافكا:** " في الليلة الفائتة ياحضرة رأيت الشوارع مقلوبة رأسا على عقب، و لما سألت العابرين قيل لي زوجة السلطان خارجة إلى المدينة لتتنزه قليلا، و كان الشعب على الأرصفة يهلل و يكبر منتظرا تلويحة صغيرة على يدها..." [4]

1- مجموعة من الأساتذة والباحثين، النص و الظلال، ص:31.
2- بوطاجين السعيد، اللعنة عليكم جميعا، ص:56.
3- نفسه، ص:69.
4- نفسه، ص:76.

هي بلدة تعبد أخطاءها و لا تعترف بها، هذا ما يقوله في (**حكاية ذئب كان سويا**): " بعد على بعد إلى أن رسوت في هذا المسجد الكريم، وجدت البلدة تصنع أصنامها، و جدتها تعبد أخطاءها كانت خارج الزمن: الدم، الضغينة، الأصوات تتهافت في مرفأ الحاضر و المستقبل." [1]

هي بلدة تعاني أزمة حقيقية نتيجة جهل الشعب أولا و نيران الفتنة و الضغينة ثانيا.

من خلال ما سبق ذكره حول المضمون الاجتماعي لدى بوطاجين نقول إنه يركز دائما على الفئة الفقيرة في المجتمع، تلك الفئة التي تعاني الظلم و القهر عساه أن ينهض بها، كما نجده يعتمد على شخصية تقوم بدور الشعب ككل، ثم يوسع رؤاه ليشمل الشعب أي أنه يبدأ بالفرد ثم ينتهي عند الشعب، لأن التقويم يبدأ بالفرد إلى أن يصل للشعب كما هو موضح:

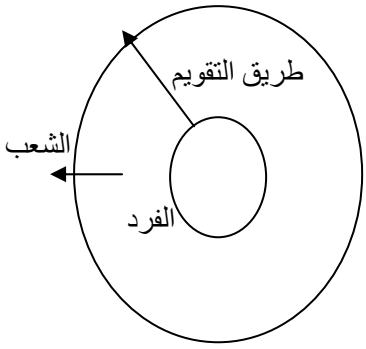

1- السابق، ص:122.

3- المضمون الثقافي:

من بين المواضيع التي أثارت اهتمام السعيد بوطاجين تلك التي تتعلق بالجانب الثقافي، حيث أن القارئ لقصصه ككل يجده يركز على الأوضاع التي يعاني منها المثقف و المفكر و المبدع على السواء، كما يركز على الجانب الأدبي خاصة فيما يتعلق بالشعر و القصة و النقد.

من أجل ذلك ارتأينا أن نتحدث في هذا الجزء عن سخريته من الظروف التي يعاني منها المثقف و المبدع ثم تأثير ذلك على الوضع الراهن للشعر و القصة و النقد آنذاك.

لذلك كله نجده دائما يسلط الضوء على تلك الظروف التي يعاني منها المثقف حيث يركز على مجموعة من الشخصيات، هذه المجموعة تعاني من الظلم و القهر و التهميش، على رأسها: **(عبد الله اليتيم)** في **(ما حدث ي غدا)** و **(الشاعر)** في **(جمعة شاعر محلي)** من نفس المجموعة و **(الراوي)** في **(و حي من جهة اليأس)** و في **(سيجارة أحمد الكافر)** بالإضافة إلى شخصية **(الراوي)** في **(37 فبراير)** من **(اللعنة عليكم جميعا)** و**(ظل الروح)** و شخصيته في **(تفاحة للسيد البوهيمي)** و في **(لا شيء)** من **(وفاة الرجل الميت).**

عبد الله اليتيم: هو ذلك الإنسان المثقف الذي يمتلك رؤية مشرقة عن الحياة و الوجود و هو بما يمتلكه من هذه الصفات المتفردة يصطدم بالقوة المهيمنة، قوة الفساد و الاستبداد متمثلة في شخصية القاص. [1]

تتجلى السخرية في ذلك الوضع الذي يحكمه من هو أقل منه، حيث تجسد في شخصية القاضي إذ يقول **الراوي** في حقه: " ينصب المبتدأ و يجر الخبر، يرفع المفعول به و يجمع الأسماء بطريقة خاصة جدا إنه من الكاذبون، كان مع اثنان في حديقات..." [2]

1- مجموعة من الأساتذة والباحثين، النص و الظلال، ص:185.
2- بوطاجين السعيد، ما حدث لي غدا، ص: 116.

- **شخصية الشاعر:** هو ذلك الشاعر الذي لا يستطيع أن يتحدث بحرية لأنه لم يتحرر من الواقع و ما يؤكده قوله: " إذا كان الإنسان في الدنيا بحاجة إلى الماء و الكلأ و النار، فإنه في مدينة مسوسة كهذه لا يستطيع أن يحيا دون رقابة و ذل و شتائم..." [1]

يعاني من الذل و من قلة الاهتمام في مدينة تقدس الكسل إذ يقول :" بالكسل يا صديقي العزيز تقي نفسك شر الالتهابات الثقافية، و سرطان الدماغ، و القروح الشعرية المختلفة، و به ترقى الأمم المتخلفة المتأففة..." [2]

يقول أيضا في نفس السياق: " لأول مرة شعرنا في مدينة تقدس الجهل و تعبد المال أكثر من الله بأننا نشبه المواطنين قليلا..." [3]

- **شخصية الراوي في (و حي من جهة اليأس):** يحدثنا عن سبب اختياره للإبداع فيقول: " و لأني أمقت الاقتصاد و السياسة و علم الكذب و يسقط و يعيش و ما جاورهم؛ فقد فكرت في عمل لتفادي الانتحار و انتهى بي الأمر أن اخترت الإبداع..." [4]

- **شخصية الراوي في (سيجارة أحمد الكافر):** يصوره القاص و هو يعيش في أزمة تمثلت في عدم قدرته على أن يكون واقعيا، و من ثم يفقد الإحساس في الحياة حيث يقول: " إن قمة الواقعية في عصرك تتمثل في قدرتك على أن لا تكون واقعيا، و الآن يبدأ الخيال في نسج أحداث لا تدري إن كنت عشتها أو متها...." [5]

بسبب هذا يعيش صراعا نفسيا داخليا، فهو لا يستطيع أن يكون واقعيا، و لم تعجبه كتاباته حيث يقول :" في المساء جلست على طاولتي و قرأت، لم أر طيلة حياتي كاتبا أحمقا مثلك، كأنك تفكر بالنخاع الشوكي أو بالبصلة السيسائية ..." [6]

يقول أيضا :" لم تعجبني الخاتمة شممت فيها رائحة الجد الأول و رائحتي الوراثية القذرة..." [7]

1- بوطاجين السعيد، السابق، ص: 62.
2- نفسه، ص:64.
3- نفسه. نفس الصفحة.
4- نفسه، نفس الصفحة.
5- نفسه، ص:114.
6- نفسه، ص:154.
7- نفسه، نفس الصفحة.

- **شخصية المعلم في (37 فبراير):** يُكّن كرها لمملكة الله غالب؛ لأنها مملكة أقامت مجدها على محاربة العقل... [1]

إذًا نقول إنها شخصية تعاني من وضع متعفن، وضع لا يقدر العلم و التعليم، و يحكمه من هو أقل منه، حيث يقول القاص على لسان **الراوي** :" كان المعلم يسارر نفسه عابثا بما يرى و يسمع آلاف الإداريين و الوزراء لكتابة فقرة من الأخطاء ..." [2]

- **الراوي في (ظل الروح):** يعاني من واقع يسوده الاضطراب و قلة الأمن، هي شخصية تبحث عن الطمأنينة؛ لذالك هو موجود في وضع يجعله يخفي هويته و لا يبديها، إذ يقول في هذا السياق: " كان عليَّ أن أزوِّر كل شيء بما في ذلك هيئتي، فأنا كاتب مجهري لا شأن لي لا حظَّ لي، لا حزب لي..." [3]

ـ **الراوي في (تفاحة للسيد البوهيمي):** يعاني الإهانة و قلة الاهتمام، مرارة واقع لا يُعْنى بالقراءة، لهذا نلمحه يحس بلا جدوى الحياة وسط هذا الوضع إذ يقول و هو يخاطب نفسه: " ستتسرَّب أيامك بلا جدوى ...." [4]

يقول أيضا: " اللعنة عليك و على كل تاريخك الحافل بالقراءات المعوقة، قضيت كل موتك في توزيع الحروف و العناوين..." [5]

- **الراوي في (لا شيء):** هو شخص متشائم يعاني الفقر و التهميش؛ لأن أعماله لازالت مدفونة و لم تر النور، و ما يؤكده قوله:" في أجوائي المعتمة تصارع الصبر و العجز و الشهرة و مشاريعي الطوفانية، مشاريع رافقتني أكثر من عشرة قرون و لم تر الشمس..." [6]

يقول كذلك :" بقدمي اليمنى فتحت الخزانة الأثرية التي تصلح أن توضع في أحد المتاحف لصيانة التراث الإنساني... " [7]

1- بوطاجين السعيد، اللعنة عليكم جميعا، ص:57.
2- نفسه. نفس الصفحة.
3- نفسه، ص:82.
4- بوطاجين السعيد، وفاة الرجل الميت، ص:75.
5- نفسه، ص:77.
6- نفسه، ص:98.
7- نفسه. نفس الصفحة.

السبب في كل ذلك أنه يعيش في مدينة تعاني من الرقابة و من تجمد الفكر، حيث يقول:" في المدن المضحكة هناك الجرب و الشلل الفكري و الجوسسة..." [1]

نتيجة ذلك تبقى كتاباته مدفونة لا قيمة لها و لا صدا كما يقول:"هذه المحاولات هي مجرد مواء و عواء و كل ماله نفس الوزن؛ مثل حساء، وباء، داء إفرنجي، حصى، صفر بعد الفاصلة..." [2]

من خلال ما سبق ذكره حول المضمون الثقافي، نقول إن السعيد بوطاجين جعل من المثقفين و المبدعين و من الظروف المزرية التي يعيشونها قضية أساسية محورية أراد معالجتها، حيث كان كل المتسببين فيها موضوع سخريته؛ كي ينهض بالمستوى الثقافي عامة و الأدبي خاصة عن طريق التحرر من الرقابة المفروضة على الشعر، و سائر الأنواع الأدبية الأخرى أولا ثم الاهتمام بالمثقفين و المبدعين و بانشغالاتهم ثانيا.

1- السابق، ص:101.

2- نفسه. نفس الصفحة.

4- المضمون السياسي:

في أغلب قصصه يشير بوطاجين إلى معاناة الإنسان في فترة عاشها الجزائريون في العشرية السوداء من سنوات " الهم و الغم و الدم" [1]، و لهذا توحي بالواقع السائد آنذاك، تحيل عليه فاصطبغت بالهزلي و السخرية كما يشير أيضا إلى مأساة الجزائر في التسعينات، و هي قصص أغلبها كتب في أواخر الثمانينات أو التسعينات، لم تروج لأي فكرة أو أي مشروع سياسي أو اقتصادي؛ لهذا تأخر ظهور بوطاجين كمبدع كما يرى العديد من الباحثين *.

لقد صبَّ بوطاجين جام غضبه على المسؤولين السياسيين و على الحكام و الوزراء؛ لأنهم السبب في معاناة الإنسان البسيط – حسب تقديره – كما لم يستثن القوانين الخاضعة لهم، لهذا كله ستكون محاولتنا في هذا العنصر إبراز النواحي التي من خلالها سخر بوطاجين و تهكم فيها من الوضع السياسي و من الحكام و الملوك و المسؤولين في تلك الفترة، و تأثير ذلك على الأمة أو الشعب الجزائري .

في سخريته من الملوك و المسؤولين و الوزراء يقول في (**اعترافات عبد الله اليتيم**) من (ما حدث لي غدا) من خلال قراءة القاص للرسالة التي بعثتها المرأة **لعبد الله اليتيم** :" لا أريد مقدمة المقدمات صورة خارجية لمادة المراوغة، إنها تعكس عدم القدرة على مواجهة الضعف، لنقل إنها من اختصاص المهرجين و الساسة و المزيفين ..." [2]

هذا النص يتضمن سخرية واضحة من السياسيين من ضعفهم، و من مراوغتهم يواصل السخرية في (**الشغربية**) فيقول على لسان الراوي :" لو قمت بتقييم البلدة لوضعت التبغ في المرتبة الأولى ثم الأرصفة ثم العناكب و في الأخير المرتبة ما بعد الأخيرة الحكام الآثمين ...." [3]

1- مجموعة من الأساتذة والباحثين، النص و الظلال، ص: 36.

*- من بينهم الباحث: مزليني منير.

2- بوطاجين السعيد، ما حدث لي غدا، ص:18.

3- نفسه، ص:103.

بعد هذا يصرح عن شعوره و يعكس ماتعج به نفسه ليلمِّح إلى بعض من الأسباب فيقول –على لسان الراوي – من نفس القصة : " إني أحتقركم واحد واحد و حذائي أفضل منكم و من أبنائكم الملوك بالوراثة ...." [1]

يقول في (وفاة الرجل الميت) في (**مذكرات الحائط القديم**): " وفي مدينة الهذيان و الطمي و المواقف الهشة، تتناسل الأضرحة، يتوج السفلة ملوكا على صهوة التمرحل يقطعون نبع الثقة و يسرحون نحو النكران نكران الأحبة و حليب الأم...." [2]

هي سخرية صريحة تمس الملوك الذين ينكرون أصلهم و أهلهم و أحبتهم.

أما في (**اللعنة عليكم جميعا**) يقول : " كان ذلك الفوق لا يستحق حتى الكراهية؛ لأنه فوق النعوت مجتمعة ..." [3]

يقول أيضا :" أيها الفوق الكريه إني أعيفك، اللعنة عليك أيها الفوق، اللعنة عليكم جميعا..." [4]

في القولين السابقين يسخر بوطاجين من أولئك المسؤولين اللذين لا يهتمون بالشعب.

يشير إلى قلة اهتمام المسؤولين بالشعب في (**أعياد الخسارة**) ليقول على لسان يعقوب (أحد شخصيات القصة) و هو يحدث نفسه :" أيعقوب أيها الخيط المنسي في صُرَّةٍ، ماذا لو كنت مقبرةً صغيرةً أو تمثالا في ساحة سيزورك الوزير و الرأس و الرئيس و المرؤوس، لكنك مجرد عامل انطفأ..." [5]

هي سخرية تنِمُّ عن امتعاض القاص و غضبه من المسؤولين الذين يهتمون بالشكليات، و في المقابل يهملون أمور المواطنين.

1- بوطاجين السعيد، السابق، نفس الصفحة.
2- بوطاجين السعيد، وفاة الرجل الميت، ص:63.
3- بوطاجين السعيد، اللعنة عليكم جميعا، ص:33.
4- نفسه، نفس الصفحة.
5- بوطاجين السعيد، ما حدث لي غدا، ص:45.

كما يشير أيضا إلى سياسة القمع و الإجراءات التي يتَّبِعها السلطان ضد الأدمغة و المفكرين حيث يقول على لسان الراوي في (**وفاة الرجل الميت**):" في الصباح رفرف السلطان جفنيه و قرر لكي نتفادى هجرة الأدمغة يجب بناء السجون..." [1]

و يقول في (**هكذا تحدثت وازنة**):" منهم من اقترح تصدير الأدمغة الفائضة عن الحاجة و من رفض انتماءه لفصيلة الهراء، و من اتخذ الكسل ربًّا، و من دافع عن حزب العدم جل جلاله ومن أصبح ذيلا ملتزما ..." [2]

في ظل تلك السياسات التي يفرضها الحكام و المسؤولون يصطدم القاص بخضوع و خنوع و استسلام الشعب، فلا يجد حرجا من السخرية منهم إذ يقول(**في فصل آخر من انجيل متى**) من (اللعنة عيكم جميعا) على لسان أحد العابرين عندما سأله **يوري غاغارين***– أحد شخصيات القصة– عن سبب استبدال عمود بآخر يشبهه:" لا تشأل عن الشبب، يبدو أنك لشت آدميا ممتشلحا بمنطق الشمت أو أنك قدمت من شماء أخرى السلام..." [3]

ما العابر إلا جزء من كل، يعبر عن رأي الشعب، لهذا تناوله القاص تناولًا مضحكا ينِمُّ عن نفس غاضبة غير راضية بما يحدث.

هو واقع أراد بوطاجين أن يبرزه من خلال تركيزه على الظروف الاجتماعية و السياسية؛ لأن الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية تدنَّت بالفعل في الجزائر خصوصا اثر انخفاض أسعار البترول منذ أوائل الثمانينات إلى جانب استمرار احتكار قلة من المتنفذة لمكونات السلطة و القوة و الثروة و ما نجم من ممارساتها التي اتسمت باعتراف أقطاب بارزة في الحكم و المعارضة على حد سواء، في تلك المرحلة بالاستبداد و مصادرة المجتمع المدني و سوء الإدارة و التبذير و الفساد.

1– بوطاجين السعيد، وفاة الرجل الميت، ص: 39.

2– نفسه، ص:128.

*– هـــــو في حقيقة الأمر رائد فضاء سوفياتي، قام بأول رحلة فضائية عام 1961 .

3– بوطاجين السعيد، اللعنة عليكم جميعا، ص:18.

و تفيد بعض المعلومات و المعطيات أن أكثر من 20 مليارا دولارا من المال العام تم الاستيلاء عليها أو أنفقت بشكل غير مشروع، كل ذلك عمَّق الفوارق الاجتماعية و الطبقية و أدَّى إلى التدهور للأغلبية الساحقة من الناس، بما في ذلك الطبقة الوسطى التي تراجعت إلى مستوى الطبقات المسحوقة و المهمشة بسبب التضخم، و ارتفاع الأسعار و البطالة و تدني الأجور و انخفاض العملة ووصلت نسبة البطالة إلى أكثر من ثلاثين بالمئة(30%) من مجموع القادرين على العمل في بلد يشكل الشباب تحت سن خمسة و عشرين عاما(25) قرابة خمسة و سبعين بالمئة(75%) من سكانه من دون بارقة أمل في إيجاد حلول ملموسة لأوضاعهم، حيث يعيش قرابة ثمان وعشرين بالمائة(28%) من عدد السكان تحت خط الفقر، كما تراجعت القوة الشرائية لدى المستهلك نسبة خمسين بالمائة (50%)، يحدث هذا في بلد يملك الكثير من الموارد و الثروات الطبيعية و البشرية، و ترافق مع كل ذلك وصول الديون المستحقَّة على الدولة إلى نحو ثلاثة و ثلاثين مليار دولار.[1]

أما عن الوضع الثقافي فبالرغم من استمرار الدولة في سياسة تحسين مستوى معيشة السكان و جعل التعليم إجباري، إلا أن النقائص ظلَّت موجودة في المجال الاجتماعي و الثقافي؛ فالأمية بقيت موجودة و قدِّرت بخمس و ثلاثين بالمائة (35%) و مشكلة السكن بقيت مطروحة، و من الأسباب التي جعلت الدولة الجزائرية عاجزة عن القضاء على كل تلك المشاكل : – الأزمة الاقتصادية التي مست اقتصاد الجزائر بشكل خطير من 1986 كما سبق أن أشرنا بعد تدهور أسعار البترول.[2]

1– خنيزي نجيب، (صعود الإسلام السياسي في الجزائر) على الموقع www.metronsporent.net يوم 2010/09/01 على الساعة 13.00.

2– من مقال بعنوان (مؤشرات الأزمة الاقتصادية في الجزائر) على الموقع www.soufroum.com . يوم 2010/09/01 على الساعة 13:30.

5)- المضمون النفسي:

إن السخرية من المتسببين في كل الظواهر السلبية السائدة في المجتمع عن طريق التصوير الكاريكاتوري أو عن طريق بقية الأساليب – كما سيتضح – تعين على إضاءة جوانب من نفس الكاتب (القاص) و ما تعجُّ به نفسه من مشاعر متعددة.

لأن السعيد بوطاجين ينطلق من الواقع (المجتمع) و ما يسود فيه من تصرفات فإنه يقف موقف المتبصر تساعده ثقافته الواسعة ليسلط الضوء على القضايا المختلفة التي تركت في نفسه ضغطا لأجل ذلك نقول إن العديد من المشاكل التي أثرت في نفس القاص جعلته يلجأ إلى السخرية لأغراض متعددة من بينها الترويح عن النفس.

لاحظ بوطاجين تدني المستوى المعيشي للفرد الجزائري في فترة ما، كما لاحظ الخطر المتربِّص به فلجأ إلى السخرية؛ عله يضع الشعب أمام هذا الموقف و خطورته .

عايش بوطاجين مشكلة تهميش المثقف؛ فأراد ردّ الاعتبار له بطريقة ساخرة و مضحكة.

لاحظ بوطاجين الفساد و الخراب الذي تعاني منه البلاد فلجأ إلى التهكم و السخرية قصد إصلاح و تقويم المتسببين في ذلك علهم يعدلوا عن موقفهم.

كما تأثَّر بوطاجين بمعاناة الفرد و ظلمه من طرف العديد من القطاعات، و في مقابل ذلك اصطدم بخضوع و خنوع الشعب و جهله.

حزَّ في نفسه كل ذلك فأدرك ضرورة النهضة، فتناول كل تلك القضايا السابقة بأسلوب ساخر.

و بالتالي نقول إن القاص يقول الواقع انطلاقا من تجربة الأنا، هي أنا تتلقى الواقع بما تمتلكه من قدرات و استعدادات ثم تفضحه أو تترجمه وفق ما خلصت إليه من استيعاب و فهم، هي أنا غاضبة متذمرة تلعن و تسب و تشتم و تتهكَّم على كل شيء و في كل الأحوال حتى على الذات نفسها.[1]

1- مزليني منير (العلاقات الجدائية في العملية الإبداعية)على الموقع www.ofouq.com .

انطلاقا مما سبق ذكره حول مضامين السخرية لدى السعيد بوطاجين يمكننا أن نخلص إلى أسبابها، منها ما يتعلق بالجانب الاجتماعي، و ما يتعلق بالجانب السياسي، أو الثقافي، أو النفسي تلك الأسباب تتمثل فيما يلي :

الواقع الذي يعيشه المواطن في ظل غياب الأمن من جهة، و الفقر الذي يعاني منه من جهة أخرى، بالإضافة إلى المشكلات الداخلية التي يعاني منها المواطن خصوصا في نهاية الثمانينات و بداية التسعينات من فتن و سرقة ثم الهروب عن الوطن، كما لا نستثني الواقع الذي يعيشه المثقف و المبدع من إهمال و تهميش و عدم تقدير للفن من جهة، و من فقدان الحرية نتيجة الرقابة المفروضة عليه بحيث لا يستطيع أن يتكلم بحرية، و بالتالي فقدان القدرة عن التغيير.

لهذا كله جسَّد العديد من الظواهر السلبية السائدة في المجتمع و سخر من المتسببين فيها بالدرجة الأولى بشيء من التضخيم، لقد أظهرهم في صورة مضحكة على أمل أن يوقضهم عن ذلك فيقنعهم بضرورة الاستقامة و الوعي.

هناك أسباب أخرى تعود إليه (نفسية) جعلته لا يستطيع أن يتأمل كل تلك الظروف خاصة المتعلقة به دون أن تكون له اليد في محاربتها و الدعوة إلى تغييرها.

الفصل الثاني

أساليب السخرية في قصص السعيد بوطاجين:

يستخدم الساخر وسائل و أساليب متعددة في سخريته، تتداخل كل منها، بحيث لا يمكن إحصاؤها أو عدها، و هي معرضة دائما لابتكار العقول المبتكرة بحيث لا يمكن للبلاغي حصرها في اصطلاحات ضيقة، فمثلها كحروف الهجاء في أية لغة من اللغات، يمكن للإنسان اشتقاق آلاف من الألفاظ منها، و التعبير بها عن آلاف الأحاسيس، فتكون طيِّعة في يده، يستخدمها كيف يشاء. [1]

هذا يعني أن الساخر يبتكر صورا ساخرة من خياله، بعد أن يطبعها بروحه، و يصبغها بنوعية انفعالاته، فتغدو جديدة كل الجِدَّة، أو لافتة للنظر، بعد أن لم تكن ذات أهمية من قبل.

كما يقول الدكتور **محمد ناصر بوحجام** أنها ليست هناك ضوابط تضبط أنواع الأساليب الساخرة أو شكلها، فالسخرية لا تخضع لمذهب معين، و لا انفعال معين إنما هي خاضعة للحرية [2] التي يمكننا بها أن نتناول من أمور الحياة الخاصة و العامة ما نشاء بالأسلوب الذي نختاره." [3]

انطلاقا مما سبق ذكره حول طبيعة الأسلوب الساخر، نحاول التعرف على الأساليب الساخرة التي أفرزتها الكتابة الإبداعية لدى السعيد بوطاجين، و هي كثيرة جدا نحاول عرض أغلبها من باب التمثيل لا الحصر.

إن هذه الأساليب عبرت عن اهتمامه بقضايا المجتمع سواء منها السياسية أو الثقافية، ومن ثم سيكون غرضنا من كل هذا تبيان مدى إسهامه في المجالات السابقة الذكر وفي نمط هذا التعبير في الأدب الجزائري عموما.

1- ينظر نعمان محمد أمين طه، السخرية في الأدب العربي، ص:47.

2- ينظر بوحجام محمد ناصر، السخرية في الأدب الجزائري الحديث، ص:209.

3- الهوال حامد عبده، السخرية أدب المازني، ص:292، نقلا عن محمد ناصر بوحجام، السخرية في الأدب الجزائري الحديث، ص:210.

1- الأساليب البلاغية:

توخي الأساليب البلاغية في الأدب هو من ضروريات، بل أساسيات الكتابة الأدبية غير أنه يجب أن لا يتم ذلك بتكلف أو تصنع، حتى لا يزرى بهذه الأساليب و لا يوصف صاحبها بأنه عاجز مفلس في مجال الأدب. [1]

سنشير في هذا المبحث إلى بعض الأساليب البلاغية التي برزت في قصص السعيد بوطاجين و التي من بينها أسلوب الاستفهام، الذي اعتمده للسخرية من بعض المسؤولين الذين لديهم اليد في تعفن الوضع بالإضافة إلى أسلوب الأمر، و النفي، و من أساليب البديع التي تدخل ضمن المحسنات المعنوية، أسلوب تأكيد الذم بما يشبه المدح.

أ- **أسلوب الاستفهام** : تساءل السعيد بوطاجين تساؤل متهكم ساخر من كثرة الوزراء و مستغرب في نفس الوقت مما سيحدث فيما بعد في كل متر تجد وزيرا عوض شجرة زيتون...قريبا سنجني ماذا؟ قرارات كل واحد ينتج إطنابا، ذلك قوتنا القادم، كنزكم أنتم، سنأكل قرارات بالكمون و فيها ننام، ناطحات البؤس لماذا؟ [2]

يصور أيضا مشكلة تواني الإدارة الجزائرية و تخاذلها عن خدمة الشعب مثلما هو الحال عند ابن آدم في **(37 فبراير)** حيث ينقل هذه القضية بقالب هزلي تنم عن سذاجة مسؤول إداري إذ يقول له: كيف ولدت يوم 37 فبراير؟ لعلك ولدت يوم 77 فبراير ؟ أنت لماذا تريد أن تحذف يومين؟ الناس يصعدون و أنت تنزل؟ الزيادة أفضل من النقصان يا رجل. [3]

كما يسلط الضوء عن أولئك المتسببين في نهب و تخريب خزينة الدولة و ممتلكاتها، لهذا نجده يتساءل تساؤل تهكم و امتعاض منهم، ليقول على لسان الراوي: " حضرة الذين هنا أولئك الذين اقتسموا المدن كيف نسميهم؟ و يضيف إلى كل ما سبق مشكلة توانيهم و تثاقلهم عن الخدمة... ما رأيك في الذين لا يعملون و في أيديهم الحل و الربط " [4]

1- السابق، ص:210.
2- بوطاجين السعيد، اللعنةعليكم جميعا، ص:44.
3- نفسه، ص:61.
3-نفسه، ص:76.

في كل مكان يجعل بوطاجين شخصية تدعو إلى ضرورة اليقظة و الصحوة كما هو الحال عند **سليمان البوهالي (و للضفادع حكمة)** إذ يقول مخاطبا القرية: يا ناس يا وجوه الطاعون و الذل تصنعون السل و تشتكون و تقتلون أنبياءكم ولا تحزنون ألا تستحون؟ [1]

التساؤل يحمل كل معاني السخرية و الاحتقار لهؤلاء الناس و الاستغراب من طريقة عيشهم.

أما إذا لم يجد الحل، فإنه يطلب النجاة و يبحث عن سبيل آخر قد لا يكون في هذه الدنيا...

الآن لا أدري ماذا أفعل و قد عفت المدن و عافتني الضفادع، أأعوي أم أنبح أم أنق، أم كيف حالكم؟ النجدة يا جدتي..." [2]

نعود إلى مشكلة التهميش التي يعاني منها المواطن مثلما هي في (**أعياد الخسارة**) من (ما حدث لي غدا) أين يخاطب الراوي يعقوب- إحدى شخصيات القصة- : أيعقوب أيها الخيط المنسي في صرة ماذا لو كنت مقبرة صغيرة أو تمثالا في ساحة ؟ سيزورك الوزير و الرأس و المرؤوس لكنك مجرد عامل أنطفأ....[3]

لهذا كله ينقم على الدنيا على البلاد و العباد، فنجده يستفهم، ويقول: من يعتز بانتمائه لهذا الغبار المحلي؟ [4] في هذا الاستفهام ينفي القاص و يتعجب من أن يكون هناك شخص يريد أن يعيش في ظل واقع مرير، واقع يطلق عليه اسم الغبار المحلي.

و بالتالي يفقد القدرة على تحمُّل الأعباء حتى أعباء نفسه إذ يستفهم الراوي و هو متعجب في **(وحي من جهة اليأس):** كيف لي أن أتحمل أعباء جسد كامل؟ [5]

يقول أيضا في نفس القصة: كيف قبلت العيش في قمامة مدَّة ثلاثين حماقة و لم أضيِّع صوابي و بعض أعضائي على الأقل؟ [6]

1- السابق، ص:104.
2- نفسه، ص:110.
3- بوطاجين السعيد، ما حدث لي غدا، ص:45.
4- نفسه، ص:81.
5- نفسه، نفس الصفحة.
6- نفسه، ص:95.

بعد ذلك ينتقل بوطاجين إلى مشكلة المثقف المبدع الذي يعيش في جو لا يقدر الإبداع و لا يهتم به، و بالتالي لا بصيص أمل نحو التغيير حيث يقول في (**اعترافات راوية غير مهذبة**):" لمن تكتب قصتك يا بضعة لا شيء ؟ تساءل الأسى، للطير الأبابيل هل تستطيع أن تغير شيئا؟ هل أستطيع أن أغير شيئا؟ [1].

التساؤل يحمل كل معاني الاحتقار لهؤلاء الناس الذين لا يهتمون بكل ما من شأنه أن ينهض بهم، كما ينقل بكل صدق إحساس القاص و حسرته من تلك الحالة المتدهورة، و يقرُّ حال التخلف الثقافي. في (**وفاة الرجل الميت**) ينقل طبيعة العلاقة بين العربي و أخيه فيقول بنبرة ساخرة:" قال العربي للعربي: متى تبدأ الحرب بيننا؟ متى يبدأ النهب ؟ [2]

تساؤل ينم عن حسرة القاص من واقع مرير، يتضح من خلال طبيعة العلاقة التي يسودها الحقد و النهب و الجري وراء الدنيا ومصالحها.

بالإضافة إلى ما سبق يصوِّر القاص الكذب كظاهرة منتشرة في المجتمع، فيتساءل على لسان عبد الوالو إحدى شخصيات قصة (**السيد صفر فاصل خمسة**) لماذا الكذب الفاقع متناثر في الطرقات؟ [3]

هذا الاستفهام غرضه التعجب و الاستغراب من أحوال المدينة التي تسير من سيء إلى أسوأ و لهذا ينفي أن يجني منها شيئا كما يقول : ماذا تنتظر من مدينة الأبواق و السفلة يا عبد الوالو؟ [4]

من بين أساليب علم المعاني البلاغية التي استعملها بوطاجين أسلوب **الاعتراض** " الذي يعتمد على جمل يأتي بها الكاتب في أثناء كلام متصل لغرض يقصد إليه البليغ، و لا يكون لهذه الجمل أي محل من الإعراب، و تكون هذه الجمل مؤلمة، حيث توضع في موضعها و في سياق محكم فيتحول الكلام من معنى المدح إلى معنى الذم، أو من الوصف العادي و الكلام العابر إلى تهكم يصيب في المقاتل ..." [5]

1- السابق، ص:113.
2- بوطاجين السعيد، وفاة الرجل الميت، ص:29.
3- نفسه، ص:31.
4- نفسه، ص:63.
5-بوحجام محمد ناصر، السخرية في الأدب الجزائري الحديث، ص: 212.

لقد اعتمد بوطاجين هذا الأسلوب للسخرية ممن تسببوا في تعفن الوضع و فساده، إذ يقول في (**ظل الروح**) من (اللعنة عليكم جميعا) و هو يتحدث عن الملثم الذي التقاه :" سمعت حمارًا ينهق طربًا بلغة امرئ القيس، أو شكسبير لم أتبينها..." [1]

هذا الاستعمال هو انعكاس لحالة نفسية متذمرة من الواقع الذي يعيشه الشعب الجزائري، بالإضافة إلى حالة الإحباط التي شعر بها و هو يجد نفسه مراقب مقيد لا يستطيع أن يغير شيئا.

أما في (ما حدث لي غدا) يقول القاص على لسان الراوي في **(السيد صفر فاصل خمسة)** :"مرة و قد استبد بنا الهبل و الفاقة، قررنا أن نصبح مبدعين، تقنو نحويين استبدلنا كلمة مسؤول بلفظة مشلول، و أصبحت قاعة الأساتذة قاعة الأسى..." [2]

هي سخرية من وضع المثقف الذي يحكمه من هو أقل منه، أما في (وفاة الرجل الميت) يقول على لسان **السيد وحيد** في (**لا شيء**):" يحيا مولانا الجرب حامي الفكر و صانع المعجزات..."[3]

هذا الاستعمال يدل على امتعاض القاص و غضبه من تلك المدينة التي لا تقدر العلم، و لا الثقافة، لا تهتم بأحوال المبدعين إلى أن تشل أفكاره كما في قوله :" في المدن المضحكة هناك الجرب و الشلل الفكري، و الجوسسة ثلاث وسائل ضرورية كالكلأ و الماء و النار..." [4]

1- بوطاجين السعيد، اللعنة عليكم جميعا، ص:93.
2- بوطاجين السعيد ، ما حدث لي غدا، ص:24.
3- بوطاجين السعيد، وفاة رجل الميت، ص:100.
4- نفسه، ص:101.

ب) **الأمر:** بالإضافة إلى أسلوب الاستفهام يعتمد القاص على أسلوب الأمر، ففي حديثه عن التغيرات التي حدثت في الدنيا يقول و هو مستغرب منها: تأمَّلْ وجه البحر كيف غزته الطحالب و صار أعورا. " [1]

في حديثه عن الوطن و ما حدث له و لأبنائه من طرف أصحاب السلطة و السياسيين يقول : " خذ المفاتيح و صلِّ معي ندما عل الوطن يجيء من المنفى." [2]

أما في (ما حدث لي غدا) يقول في (**اعترافات عبد الله اليتيم**) و هو يصور قمة الظلم الذي يعاني منه المواطن : " من سمح لك بالسرقة أو قتل السلطان، اعترف بالزنا، اعترف بالكذب بالاستلاء على الكواكب السابحة باختطاف عطارد، زوجة عطارد أو إبليس ...اعترف...اعترف فقط..." [3]

يتجلى تهكمه و سخريته من سلك القضاء عن طريق توظيف عبارات تنم عن تعفن هذا القطاع من جهة و عن شدة الظلم و التعسف الذي يعاني منه المواطن البسيط.

من أجل هذا و غيره يسعى القاص لأن يدرك الشعب كل تلك الحقائق فيدعوهم قائلا:" انهضوا يا بؤساء العهد المظلم، الشريرون، و اللصوص و المشردون و السكارى و أبناء الحرام. " [4]

في نفس الوقت يخاطب الشعراء فيقول: " يا أيها الشعراء المنبوذون من دفاتر الراحة، الوقت وقتكم، حرروا ألسنتكم المرشحة للهباء ..." [5]

غرضه من كل ذلك دعوة الشعراء من أجل أن يتكلموا و يعبروا بحرية دون خوف ليقول في موضع آخر،وهو يخاطب الناس:"غيِّروا ألسنتكم، أو استلفوا من موتاكم ألسنة نظيفة..." [6]

كما يعتمد بوطاجين على أسلوب الأمر يعتمد أيضا على:

ج)- **أسلوب النفي؛** لأنه ينفي لكي يثبت حقيقة ما، حيث يقول في(**اعترافات رواية غير مهذب**): " إن قمَّة الواقعية في عصرك تتمثل في قدرتك على أن لا تكون واقعيا." [7]

1- بوطاجين السعيد، اللعنة عليكم جميعا، ص:15.
2- نفسه، ص:51.
3- بوطاجين السعيد، ما حدث لي غدا، ص:17.
4- بوطاجين السعيد، وفاة الرجل الميت، ص:08.
5- نفسه، نفس الصفحة.
6- نفسه، ص:76.
7- بوطاجين السعيد، ما حدث لي غدا، ص:114.

من خلال هذا النفي أراد أن يثبت حقيقة الرقابة التي يعاني منها المبدع المثقف التي تجعله مقيد الفكر و اللغة، لا يستطيع أن يعبر بطلاقة و بالتالي لا سبيل للتغيير في ظل كل هذه الظروف.

في حديثه عن الحي الذي يسكن فيه **السيد وحيد** و ابنته يقول في **(أزهار الملح):** "ما ألِف الشمس و الضوء و الماء حتى غدا مغارة مظلمة تضم الدراويش و الفقراء و القمل و الأحلام المجففة. " [1]

أراد القاص من خلال هذا النفي أن يطلعنا على الظروف التي يعاني منها هذا المواطن.

بالإضافة إلى ما سبق عرضه من الأساليب يعتمد بوطاجين على أسلوبي:

د)- **التشبيه و تأكيد الذم بما يشبه المدح:**

أما عن الأسلوب الأول **(التشبيه)** من خلال تصويره لمعاناة المواطن و فقره، حيث يقول في **(اللعنة عليكم جميعا):**" في سراديب المدن المظلمة هناك أرواح ترتجف كعصافير مبللة. " [2]
و بالتالي لا يوجد مكان للأحلام، " أريد أن أشتري عصا، ثم أجمع أحلامي القديمة و أسوقها أمامي كخراف هزيلة...." [3]

تتجلى السخرية من خلال توظيفه لتلك العبارات في التشبيه (العصافير المبللة، الخراف الهزيلة).

يقول في موضع آخر من نفس المجموعة :" هكذا استولت عليَّ فكرة الحكي فرحت أبدع أساطير بحجم الجبال المحيطة بكوخنا المريض، و بالضيعة التي تشبه وجهي الذي تيبس بفعل شدة الحر و الفقر..." [4]

إن هذا التشبيه يتضمن سخرية واضحة من الفقر الذي تعاني منه الضيعة و يعاني منه الراوي على حد سواء.

1- بوطاجين السعيد، وفاة الرجل الميت، ص: 83 .
2- بوطاجين السعيد، اللعنة عليكم جميعا، ص: 12.
3- نفسه، ص: 15.
4- نفسه، ص: 32.

(**ما حدث لي غدا**) و (**وفاة الرجل الميت**) لا تختلفان عن سابقتهما من حيث توظيف التشبيه للسخرية من الواقع المعيش أو من المدينة، ففي الأولى يقول عن الواقع الذي انقلبت فيه الأمور: " الذين يعملون بجد يموتون هما، و أبناء الجبن و الكسل يعيشون كالملوك و السلاطين و أمراء الزنازن يولدون متقاعدين و لا يموتون مثلنا..." [1]

و يقول في الثانية – على لسان الراوي – :" كانت المدينة لا تختلف عن عجوز أحدب جمجمته في القبر و يداه ترقعان انكسارات الزمن في صخور لا مرئية..." [2]

يقول أيضا : " هي مدينة تقتل الأحياء و تبكي الموتى، مدينتنا المفتوحة كفم تمساح تقتل الأحياء و تبكي الموتى..." [3]

أما عن الأسلوب الثاني (**أسلوب تأكيد الذم بما يشبه المدح**) الذي يعمد إليه الأديب ليضمن كلامه معاني تناقض أو تبعد عن المعنى الظاهر، إذ يذم في معرض المدح، و يضع العلقم الخفي في الطعم الحلو...[4]

يتهكم القاص من شخصية **ديدان الخبيث** و هي شخصية نهبت و قتلت فكانت عميلة متواطئة مع الغزاة، و تتلقى دعما من الفوق هم (**الديدانيون الخبثاء**) إذ يقول له: " ها قد أصبحت مهما نسيت ماضيك ، نسيت خصالك الحميدة... " [5]

ظاهر الكلام مدح الرجل (ديدان الخبيث) الذي أصبح مهما لكن في حقيقة الأمر ذم إذ لا يقصد خصاله الحميدة بل الخصال الذميمة...

يسخر من المدير في (**السيد صفر فاصل خمسة**) و هو في إحدى الاجتماعات حيث يقول: " ها أنا في قاعة الأسى استمع إلى الزعيم مفخرة الأمة، و شمعتها عزائي الوحيد خفقان ذاكرتي المتسكعة في الأرصفة الأوربية المجنونة بعيدا عن الوحل. " [6]

سطحيًا يبدو القاص كأنه يمدح المدير، لكن بعدما نتعمق نجده يسخر منه و يريد العكس.

1- بوطاجين السعيد، ما حدث لي غدا، ص:63.
2- بوطاجين السعيد، وفاة الرجل ميت، ص:70.
3- نفسه، ص:91.
4- بطيش سيمون، الفكاهة و السخرية في أدب مارون عبود، ص:28، نقلا عن السخرية في الأدب الجزائري الحديث، ص:213
5- بوطاجين السعيد، اللعنة عليكم جميعا، ص:31.
6- بوطاجين السعيد، ما حدث لي غدا، ص:25.

في (**وفاة رجل الميت**) يتهكم القاص و يسخر من السلطان إذ يقول :" غير أن السلطان حفظه الله و نصره ، و سحق رعيته بقي يطرح سؤالا مصيريا، إذا تم تعميم هذا الدواء* كيف يشكل الفريق الوطني لكرة السلة من أشخاص لا يتعدى طولهم ثلاثين سنتمتر . " [1]

ظاهر الكلام مدح السلطان باطنه ذم و مقت و كره له، لأنه لا يهتم بأمور الرعية، بل يبحث عن كل ما من شأنه أن يضرها.

يقول أيضا :" كان عبد الوالو يقف مندهشا أما تلك اللوحة الفاتنة التي سمع عنها في الخرافات و الأساطير و القصص السحرية...." [2]

عند قراءتنا لهذه العبارة نتساءل عن طبيعة هذه اللوحات، لكن في حقيقة الأمر ما هي إلى قمامة.

---

* – دواء يجعل المواطنين صالحين جدا يصبحون في حجم الأرانب للقضاء على أزمة الحذف و السكن و الخناق الاقتصادي.

1– بوطاجين السعيد، وفاة الرجل الميت، ص:17.

2– نفسه، ص:29.

2- التصوير الكاريكاتوري:

من الأساليب التي لجأ إليها بوطاجين أسلوب التصوير الهزلي، و هو أسلوب يعمد من خلاله إلى المبالغة في عرض المسخور منه و إشارته و حركاته الظاهرة و تصرفاته اللافتة للنظر و في تشخيص ملامحه الخُلُقية و الخَلقية؛ بحيث يقف عند جوانب الضعف في جسد شخص أو في وجهه، و يكبرها كأنما يريد أن ينمي الضعف أو العيب الذي يكمن فيه إلى أقصاه...[1]

نحاول فيما يلي تقديم أمثلة نكشف من خلالها أسلوب التصوير الكاريكاتوري لدى بوطاجين و طبيعته و الأهداف التي يرمي إليها.

في مجموعته القصصية (ما حدث لي غدا) يصور إحدى القضايا و المرافعات ضد **عبد الله اليتيم** حيث نجده يسخر من القاضي و من أولئك الذين داهموه.

أما بالنسبة للقاضي فمن الناحيتين الخُلُقية و الخَلقية.

أما الخُلُقية فقد تجلت في نعته بالنفاق، والكذب والانتهازية لهذا يصوره و قد بلغت به السذاجة و الغفلة و الغباء حدا معينا، هذا من خلال مواقف متعددة من القصة ذاتها (**خطيئة عبد الله اليتيم)** حيث يقول على لسان الراوي:" كان مغفلا ممتازا يحلم بكرسي في المريخ أو زحل وعادة ما لا يفرق بين الصاد والشين بين الراء و الغين بين الثعلب و البقر، كل دابة لها ذيل فهي بقرة لا بد الفأر و الدب، النسمة و الحصان، الطربوش و حرف الميم، و الوقت ابن بغل، نافق و كذب و انتهز ... "[2]

يقول أيضا :" ينصب المبتدأ، و يجر الخبر، يرفع المفعول به، و يجمع الأسماء بطريقة خاصة جدا : إنه من الكاذبون، كان مع اثنان في حديقات... "[3]

1- أبو عيسى فتحي معوض، الفكاهة في الأدب العربي، ص:36.
2- بوطاجين السعيد، ما حدث لي غدا، ص:16.
3- نفسه، نفس الصفحة.

نورد مثالا آخر يتعلق بمضمون الرسالة التي أرسلت لعبد الله اليتيم، و التي كانت الكاتبة تقرأها " لكنك تطمئنني عندما تزورني أحيانا في أحلامي الليلية، و تنفض عني الغبار...

توقفي تدخل القاضي ثم أضاف و قد بدت عليه علامات السكر، ألم أقل لكم إنه مذنب يشتحق العقاب بالغجم؟ ألم تغوا أنه يدخل دياغ الناس و هم نائمون. " [1]

أما الخَلقية، فقد تجلت في ذلك العيب الواضح الذي يعاني منه القاضي مما ساعد القاص على تقديمه للشخصية تقديما ساخرا يبعث إلى الضحك حيث يقول، على لسان القاضي:" المدعو عبد الله متهم باغتكاب معشية في حق العغف و الدين، و مشتقبل الأمة، فقضيته تشتحق الاهتمام الكبير إثم حقيقي لا يغفغه الله، و بعد، فإن أخلاق الأولين أشبحت قدوة للآخغين لكي يعي الإنسان العبغ التي حلَّت لغيغه و يطالع حديث الأمم الشالفة و ما جغى لها، فينزجغ، فسبحان من جعل خيغ شلف عبغة لخيغ خلف...." [2]

لنا فيما سبق من حديث القاضي جدول توضيحي:

الحـــرف	نطقه عند القاضي
الـــــراء	غيـــــن
الصـــــاد	شيـــــن
السيـــــن	

لا يكتفي بهذا العيب(الاضطراب النطقي) **، بل يتعداه إلى هيئته الخارجية ، فيقول :" قطعة لحم تنسحب في هدوء ووقار من حثالة الفكر الذي لا يحتوي على مثقال ذرة من الإحساس ..." [3]

ويشبهه بالمرأة الحامل لضخامة جسمه فيقول:" كان بدينا لا يختلف عن امرأة في شهرها التاسع..." [4]

أما بالنسبة لتصويره للجماعة الذين داهموا عبد الله اليتيم في بيته نجده – أي بوطاجين– يجمع بين الصفات الخَلقية و الخُلقية حيث يقول على لسان الراوي:"كانوا مثل كتل من الصقيع تجدف بالخلق و النعيم شدادًا غلاظا سافلين بالفطرة إلى الكسل و النزوات الفظة و الظلام يحجون..." [5]

1- بوطاجين السعيد، السابق، ص:18.
2- نفسه، ص:07.
**- تمثل في إبدال حرف الراء بالغين والسين والصاد بالشين.
3- نفسه، ص:08/ 09.
4- نفسه، ص:13.
5- نفسه، ص:13.

تجلت الصفات الخَلقية في الغلظة و الضخامة، أما الخُلقية تجلت في السفالة و الكسل و انعدام الإحساس من خلال تشبيههم بكتل من الصقيع.

كما يسخر من هيئة المدير في (**السيد صفر فاصل خمسة**) من (ما حدث لي غدا) و قد بلغت به الفوضى و انعدام النظام حد تشبيهه بمسوَّدة لتلميذ في السنة الأولى ابتدائي. [1]

لا يكتفي بوطاجين بتصوير الهيئة العامة فقط بل يتعمق، فيصور البطن و العين، و الأنف و الشوارب مثلما هو الحال في مجموعته (وفاة رجل الميت) حيث يقول عن إحدى الشخصيات **(مدير الخير)** : " بطن فاتىء، عينان مكورتان، أنف أفطس، وجنتان قرمزيتان، و شوارب فرَّت من العصر الانكشاري، و لم يكن بدينا بما فيه الكفاية ... " [2]

و يقول في موضع آخر : " يأيها المائة كيلوغراما من اللحم ." [3]

تصل السخرية قمتها عندما يشبه أحد المسؤولين بكيس نخالة، لانعدام الفائدة إذ يقول الراوي و هو يخاطب **الخالة وازنة** في (هكذا تحدثت وزانة): " فيما راحت يداك الربيعيتان تمسحان آثار الأرجل الفاسدة التي تقبع خلف المكاتب مثل أكياس من النخالة تعلوها رؤوس خاوية بشوارب من... " [4]

ثم يسخر من هيئته ليقول:" لم يتغير فقط سترته التحمت بالقميص، اعوجَّت كثيرا و انقرضت ياقتها... " [5]

بعد ذلك يشبه شواربه ببقعة حبر سوداء؛ لانعدام المسؤولية إذ يقول: " كانت شواربه الهتلرية معلَّقة تحت أنفه مثل بقعة حبر سوداء منفوشة ضجرة..." [6]

1- بوطاجين السعيد، السابق، ص:26.
2- بوطاجين السعيد، وفاة الرجل الميت، ص:15.
3- نفسه، ص:22.
4- نفسه، ص:122.
5- نفسه، ص:126.
6- نفسه، ص:129.

كما يصور أحد العابرين في (**فصل آخر من إنجيل متى**) من (اللعنة عليكم جميعا) و قد بلغ به الجبن حدًا معينًا عندما سأله **يوري غاغارين** عن سبب استبدال عمود بآخر مماثل له تماما، و لا يكتفي القاص بهذا العيب بل يضيف إليه ذلك الاضطراب النطقي* الذي يعاني منه، فيقول على لسانه:" لا تشأل عن الشبب، يبدو أنك لشت آدميًا متشلحا بمنطق الشمت، أو أنك قدمت من شماء أخرى، الشلام عليكم..." [1]

من خلال ما سبق نقول إن القاص قدَّم مجموعة من الحقائق في قالب ساخر قوامه وصف مجموعة من الشخصيات و المواقف، مما أضفى عليها صفة التصوير الكاريكاتوري كما يبدو عند **الضابط** في (**علامة تعجب خالدة**) من (اللعنة عليكم جميعا) حيث يضعه في موقف غاية في السخرية و التهكم عن طريق سؤال الجندي له: " لماذا أنت ضخم الجثة يا حضرة ؟..." [2]

بالرغم من انطلاقه من الواقع – كما سبق أن أشرنا – إلا أنه يعتمد على المبالغة و التضخيم في وصف بعض العيوب الجسدية، لأنها عماد التصوير الكاريكاتوري.

هذا التصوير الكاريكاتوري ورد بلغة بسيطة و ألفاظ موحية، بعبارات و تراكيب تفصح عن مشاعر الكاتب التي تهدف إلى غايات محددة منها :- محاربة الفساد عن طريق توعية الشعب و تحسيسه بما يحدث خلفه من أجل النهوض، و الرفع من مستواه المعيشي؛ و بالتالي الترويح عن النفس.

---

* – تمثل في إبدال حرف السين بالشين.

1- بوطاجين السعيد، اللعنة عليكم جميعا، ص:18.

2- نفسه، ص:76.

3- أسلوب التعريض:

في التعريض ينال الأديب الساخر من المسخور منه، و يعبث بخصمه بطريقة خفية ذكية و مؤلمة في الوقت نفسه، و بذلك يوفر التعريض الجمالية في التعبير و الطرافة في القول، و من ثم يبعث المتعة في نفس القائل و نفس المستمع و المطلع على القول المعرَّض.[1]

لقد كثر استعمال هذا اللون في قصص السعيد بوطاجين؛ لأنه وسيلة من وسائل التعبير عن اهتماماته المختلفة.

نشير مثلا إلى (**حد الحد**) من (اللعنة عليكم جميعا) حيث يعرِّض فيها بشكل لافت للنظر بأعمال السياسيين و المسؤولين الذين يستغلون الناس و يسلبون أموالهم إذ يقول – على لسان الراوي –: " قيل إن بعضهم يفرغ الخزينة في جيبه ويظن أنه تزكى على نفسه..." [2]

وما يؤكده قوله :" بل هناك من قال إن القصر شيَّد مصانع خفية لصناعة المجرمين و تصديرهم عند الحاجة..." [3]

يقول أيضا و هو يُعرِّض بالسياسيين الذين كانوا وراء تخريب الوطن و تدميره: " خذ المفاتيح وصلِّ معي ندمًا عل الوطن يجيء من المنفى..." [4]

التعريض يبدو في هذا الأمر الذي كان باعثه التعجب من تصرف هؤلاء السياسيين يغلب عليه طابع الأسى و الحسرة نتيجة الوضع الذي آل إليه الوطن...

في سخريته من أولئك الذين لا يحترمون العَلَم بحيث تظل تحيتهم له مجرد تحيه مبتذلة يقول على لسان الراوي: " عطس فرانزكافكا باللهجة المحلية، تثاءب بالإنجليزية الفصحى، و ربما سعل بالنمساوية الفصحى؛ لكي لا يؤذي العلم الذي وهن من فرط الخجل و التحيات المبتذلة المنصبة عليه ليل نهار...." [5]

1- بوحجام محمد ناصر، السخرية في الأدب الجزائري الحديث، ص:215.
2- بوطاجين السعيد، اللعنة عليكم جميعا، ص:39.
3- نفسه، ص:45.
4- نفسه، ص:51.
5- نفسه، ص:70.

أما في (**ظل الروح**) نجده يتهكم و يعرض بأولئك الأشخاص الذين تسببوا في انعدام الأمن ونشر الفتنة في البلاد حيث يقول على لسان الراوي : " القتلة السود يتقززون من الله أعلم و القتلة الزرق يكرهون "لا أدري" و لو نطقتها بالعبرية أو بأية شبكة من العلامات، كل فرقة بمنطقها و نواميسها ووسخها و إمبراطوريتها...." [1]

يُعرِّض القاص في (**اعترافات عبد الله اليتيم**) من القاضي – على لسان عبد الله اليتيم – عندما سأله: – أين تشكن.

– في جيبي. [2]

تتجلى السخرية في هذا الجواب الذي لم يتوقعه القاضي، و في (**أعياد الخسارة**) يُعرِّض القاص بالحكام المهملين و المسؤولين الذين يتوانون عن خدمة الشعب، و ما يعقوب إلا نموذجا منهم إذ يقول القاص على لسانه و هو يخاطب نفسه : " أنجبت سبعة و الثامن في الطريق، بعد شهر سيصل بابا حليب، بابا سروال، بابا قلم، بابا كراس، بابا مريض، بابا حلوة بانتظار وصول القانون من الهند أو الصين عملت في كل جهة..." [3]

بالإضافة إلى ما سبق يعرِّض القاص بأولئك الذين لا يهتمون بالإبداع (الشعر) فيقول: " قرأ الشاعر قصيدة هجاء صفقت لها الأسماك و الحيتان..." [4]

هو تعريض بكل الذين لا يهتمون بالشعر و بالظروف التي جعلته هكذا.

كما يعرض بالكل عندما يقول – على لسان الراوي – :" أمس جاءني **غاليلو*** على متن كابوس متقاعد و أخبرني بأن الأرض توقفت عندما أصبح الناس يدورون ..." [5]

في القول السابق تعريض يحمل كل معاني المقت و الكره لهؤلاء الناس، مفعم بالحسرة و الأسف نتيجة تغيُّر الأوضاع.

1– بوطاجين السعيد، اللعنة عليكم جميعا، ص:83.
2– بوطاجين السعيد، ما حدث لي غدا، ص:11.
3– نفسه، ص:49.
4– نفسه، ص:61.
*– أحد كبار علماء زمانه أشتهر بالحساب والفيزياء والفلك، من مخترعاته ميزان الحرارة و المنظار الفلكي، اكتشف حركة دوران الأرض.
5– بوطاجين السعيد، ما حدث لي غدا، ص:87.

أما في (وفاة الرجل الميت) و بالتحديد عند (**الوسواس الخناس**) يُعرِّض القاص بالقوانين التي تحكم المواطن، قوانين ليست قائمة على أساس بل تخضع لمصالح بعض الناس حيث يقول- على لسان الراوي- :"من خلال تجربته الخاصة أدرك عبد الوالو أن الكذبة الراقية إذا زرعت في رقعة هشة أصبحت حقيقية ثم قانونا يأخذ البعض إلى العدم و البعض الآخر إلى قمة المجد ..." [1]

و في (**مذكرات الحائط القديم**) يُعرِّض القاص بالسلطان و أتباعه كما يُعرِّض بالرعية على حد سواء، حيث يقول:" في أحد الأيام يا سادة يا كرام اكتشف السلطان و علماؤه و قضاته أن العطس دواء مهم يقي المواطنين مآسي الحزن..." [2]

ثم يقول :" أمام القصر وقفوا جميعًا و راحوا يعطسون بلا توقف، و منهم من حاول تلحين عطسته لإبراز موهبته و قدرته على التنفيذ بطريقة غير مألوفة ..." [3]

في البداية يعرض القاص بالسلطان و خبثه ثم يعرض بعد ذلك بالرعية (الشعب) و غبائهم حيث بالغوا في الانصياع و الولاء، و ما يؤكده قوله :" كان يطمئن الحاشية بأنه أمر رسوله الخاص بالذهاب إلى الخارج قصد إحضار شيطان و شيطانة لإعادة توازن مدينة العميان...[4]

هو تعريض ملفوف بلفافة الاستهزاء و التحقير للسلطان من ناحية و للرعية من ناحية أخرى **(مدينة العميان)** حيث فقدوا الإحساس فلم يبصروا و لم يحسُّوا بما يحدث لهم.

يقول و هو يُعرِّض بذلك المسؤول الذي قصدته **الخالة وازنة** :" على مكتبه الأسطوري تكدَّست شعارات غائمة و في الجانب الأيمن انتصبت مكتبة للزينة..." [5]

1- بوطاجين السعيد، وفاة الرجل الميت، ص:15.
2- نفسه، ص:37.
3- نفسه.، نفس الصفحة.
4- نفسه، ص:46.
5- نفسه، ص:126.

يكمن التعرض في هذا الوصف الساخر للمكتب الذي ينمُّ عن نفاق صاحبه حيث يتناقض ظاهره مع باطنه، لتظل الشعارات مجرد حبر على ورق و تظل الكتب للزينة لا تحمل أدنى فائدة بالنسبة له.

يقول على لسان نفس الشخص:" قدِّمي طلبا الأسبوع القادم، قال كبيرهم الذي علَّمهم الخبث..." [1]

قدَّم الكاتب هذا التعريض بأسلوب مقتبس من القرآن الكريم *

يقول أيضا :" أمام هذا الوضع أعلن كبيرهم الذي علَّمهم الخبث ضرورة إصلاح ما فسد، و تنفيذ قانون منع التكشير و لو بالقوة، ثم أعلن معهده الأول للابتسام في العالم، و قد تقرر عقد ملتقى سنويا للابتسام..." [2]

التعريض في هذا النص يبرز في هذه السيطرة و هذا التعنت اللذان صدرا عن هذا الرجل، و قد أبداهما القاص بواسطة ألفاظ موحية تعبر عن الاستهزاء به، و بتلك المبادئ و القوانين التي حاول إرساءها.

هذه نماذج من أسلوب التعريض التي اعتمدها السعيد بوطاجين في كتاباته الساخرة، و قد تمكَّن من الكشف عن الوضع السائد في الجزائر خاصة في نهاية الثمانينات و بداية التسعينات، و لكن بشيء من المبالغة؛ منها ما يُعين على معرفة الحقيقة التي كانت سائدة آنذاك، و منها ما يبقى في مجال التنفيس عن النفس، و التعبير عن خلجاتها، بلغة تراوحت بين الوضوح والغموض.

1- السابق، ص:126.

*- من قوله تعالى على لسان فرعون في الآية: 70 من سورة طه: " قالَ آمَنْتُم لهُ قبْلَ أنْ آذنَ لكُم إنَّه لكَبيركُم الذِي علَّمَكُم السِّحْر. "

2- بوطاجين السعيد، وفاة الرجل الميت، ص:130.

4- أسلوب المفارقة :

هو أسلوب يعمد إليه الأديب للكشف عن التناقض الحاصل في تصرفات بعض الناس – كما مرَّ بنا في الجزء النظري– و يقدم ذلك تقديما متهكما ساخرا مستهزئا.

نصوص السعيد بوطاجين تحوي هذه الطريقة، حيث يقول و هو يستهجن ممارسات بعض الأشخاص، في **(من فضائح عبد الجيب)** من (اللعنة عليكم جميعا):" أعطينا لهذه الأرض دمنا و أولادنا و ما ملكنا إلى أن جئتم متهافتين كالجراد، جئتم من مستنقعات الخيانة و قفزتم إلى الفوق أنتم تأكلون لحم الموتى و اليتامى و التاريخ ثم تتوضأون و تذهبون إلى الجامع لتأدية الصلاة. " [1]

في المقابلة و التناقض بين العملين تكمن السخرية، لأن الثاني (الذهاب إلى الجامع) يختلف كل الاختلاف عن الأول(أكل لحم الموتى و اليتامى...) الذي تضرر منه أفراد المجتمع.

بالإضافة إلى ما سبق نقول، إن المفارقات تكشف عن تعاطف و اهتمام السعيد بوطاجين بالإنسان النبيل بضوضائه و عنفوانه، فالقراءة المتأنية تجعلنا نرى صور الفقر من حزن و معاناة ماثلة في كل زاوية من زوايا نصه. [2]

يقول على لسان الراوي، في (**السيد صفر فاصل خمسة**) من (ما حدث لي غدا): " في الأسابيع الماضية ستظل جيوبي محفوفة بالصدى و أبي لهب و أبي عطب و أبي نهب و أبي هرب و مشتقاتهم، كما حدث في الشهور الآتية..." [3]

تتجلى المفارقة في هذا التلاعب الواضح بالأزمنة، أراد القاص من خلاله أن يتهكم من الواقع الذي تعاني منه المدينة فاستعمل تلك الصيغة بتعبير ممزوج بالحسرة و الألم؛ لكي يبرز أنه نفسه في الماضي، و الحاضر و المستقبل و بالتالي لا سبيل و لا مكان للتفاؤل.

يقول أيضا في نفس المجموعة :" في الغد تناثرت على المقعد الخشبي و رحت أشم حاضري الذي نتن يومها..." [4]

1- بوطاجين السعيد، اللعنة عليكم جميعا، ص:31.
2- مجموعة من الأساتذة، النص و الظلال، ص:83.
3- بوطاجين السعيد، ما حدث لي غدا، ص:34.
4- نفسه، ص:89.

تمت المفارقة من خلال الجمع بين زمنين مختلفين، و الغرض من ذلك السخرية من الواقع المؤلم.

أما في (وفاة الرجل الميت) ورد قوله في قصة (**الوسواس الخناس**): " قال الراوي و هو مخلوق كذاب لا يؤتمن أن السلطان طبَّق سياسة التقشف في السنة القادمة، و لهذا منع الضحك و قد أعلنت الصحف في السنة القادمة أيضا أنه سيقضي على عنصر الألم، و أن علماؤه يكدُّون لتطوير دواء يجعل المواطنين صالحين جدا، و في العام الماضي إن شاء الله سيصبحون في حجم الأرنب. " [1]

تتجلى المفارقة في التلاعب بين الزمنين (الماضي و المستقبل) الهدف منه السخرية من السلطان و من الموالين له (من صحافة و علماء) .

أما في حديثه عن قضية القدس يقول – على لسان الراوي – الذي يخاطبهم يسخر منهم و يهددهم:" هذه العين التي سمعت كذبكم سأقتلعها، و أفقأ الأذن التي رأت الدم يهاجر..." [2]

في هذه الجملة تتجسد المفارقة من خلال العكس بين وظيفتي الحاستين بحيث قابل العين بالسمع و الأذن بالرؤية؛ و الغرض من كل ذلك: التنديد بممارسات العدو الصهيوني.

تتجاوز قصص السعيد بوطاجين التلاعب بالأفعال و الأزمنة إلى التلاعب بالأسماء و الأمكنة حيث يقول في الأولى في (**اللعنة عليكم جميعا**) :" اعلموا أن عبد القادر شكسبير أكَّد قبل أو بعد موته بقليل أن الشمس قد تغطى بالغربال....[3]

أما في (**وفاة الرجل الميت**) يقول على– لسان الراوي –: " النقد ركن من أركان الجنون لا الجنون ركن من أركان النقد،لا، الكتابة عملية ولادة تتغذى بالدم، هنري ميللر معتوه، لوكاتش ريكاردو، أنا، نعم أنا، حتى كتاب الروايات كذلك، جاك لندن، فوكنر، كاتب ياسين، غابريال غارسيا قدور فرحات، سوفوكليس هوميروس محمد، و ربما بعض الشعراء من نوع عبد الله رامبو و المتنبي...[4]

1– بوطاجين السعيد، وفاة الرجل الميت، ص:16.
2– بوطاجين السعيد، ما حدث لي غدا، ص:65.
3– بوطاجين السعيد، اللعنة عليكم جميعا، ص:72.
4– بوطاجين السعيد، وفاة الرجل الميت، ص:114.

يتضح التلاعب في الأسماء من خلال الإضافة عليها مجموعة من الأسماء اعتدنا على سماعها في الوسط الاجتماعي، العربي والجزائري خصوصا، هذه الأسماء هي: قدور، فرحات محمد، عبد الله.

و يقول في الثانية – على لسان الراوي – في (**اللعنة عليكم جميعا**):" ظل يعاود باستمرار أن بلدة بني عريان تسير بالفاتحة..." [1]

كما يقول :" تملكه العياء، و ازداد فقرا و كراهية لمملكة الله غالب التي أقامت مجدها على محاربة العقل و الروح..." [2]

في (**وفاة الرجل الميت**) يقول:" في مدينة العميان ساروا من فوقهم البرد، و من تحتهم البرد و في أيديهم قلوبهم..." [3]

تتجلى المفارقة في الأسماء التي أوردها القاص (بلدة بني عريان– مملكة الله غالب– مدينة العميان...) و هي أسماء أراد القاص من خلالها أن يبرز الظروف السيئة التي تعيشها كل مدينةٍ و كل بلدة...

بالإضافة إلى ما سبق نجد أن القاص يطرح أسئلة و مواقف ترافقها أجوبة لا تتناسب معها و لا علاقة بينها...[4]

يقول و هو ينقل معاناة ذلك الجندي في ثكنة عسكرية:

– عمرك؟ سأله الضابط.

– ثلاثون جريمة و ثلاثة غربان و أيام قليلة لا معنى لها، ردَّ عليه...[5]

هناك مفارقة بين السؤال و الجواب لا علاقة بينهما، لكن الجواب الذي أورده القاص أراد من خلاله أن يبرز معاناة الجنود في تلك الثكنة التي نعتقد أنها ترمز للدولة و الجنود يرمزون للشعب.

1– بوطاجين السعيد، اللعنة عليكم جميعا، ص:93.
2– نفسه، ص:56.
3– بوطاجين السعيد، وفاة الرجل الميت، ص:08.
4– مجموعة من الأساتذة والباحثين، النص و الظلال، ص:88.
5– بوطاجين السعيد، اللعنة عليكم جميعا، ص:67.

أما في (**ما حدث لي غدا**) ينقل القاص سذاجة القاضي إذ يقول:" لون جواغبك ؟ لون جواغبي أربعون...[1]

يقول أيضا من نفس القصة على – لسان القاضي – :" أين تشكن؟ في جيبي...[2]

أجوبة عبد الله اليتيم على القاضي لا علاقة لها بالأسئلة، تهدف إلى السخرية و التهكم من القاضي الساذج.

كما يقول :" ما اسمك؟

– عبد الرصيف.

– ما مهنتك؟

– عازب. متزوج. [3]

تتجلى المفارقة في الجواب عن السؤال الثاني، فلا علاقة بين السؤال و الجواب، لكن القاص أراد من خلاله أن يبرز الظروف السيئة التي يعيشها عبد الرصيف.

1– بوطاجين السعيد، ما حدث لي غدا، ص:10.
2– نفسه، ص:11.
2– نفسه، ص:122.

5- أسلوب التنكيت و التندر:

يلجأ الأديب أحيانا إلى السخرية المرحة القصيرة لتصوير إحساسه بالأثر الذي يعمل في نفسه و من ثم يسعى إلى التخلص من الغيظ الذي يملأ قلبه، فيخفف عنه آلامه، هذا ما يعرف بأسلوب النكتة؛ أو النادرة الساخرة التي هي خبر أو قصة قصيرة مضحكة. [1]

و أساسها تنويه خفي أو تلميح ذكي، يبتعد عن التصريح. [2]

و من بين ما يعنيه التنكيت الإسقاط على الرأس، و الطعن في عمل وفعل ما. [3]

و النكتة تساعد الشخص على الشعور بالانتصار على الضغط و الحرمان. [4]

السعيد بوطاجين كغيره من الأدباء الجزائريين الذين استغلوا هذا الأسلوب لأغراض متعددة منها نقد بعض رجال السياسة أو بعض الأشخاص في المجتمع، فمزج نقده بروح مرحة و أسلوب شيِّق، يزيل السأم عن النفس و يصل إلى الهدف بيسر و سهولة و هو ما تسعى إليه النكتة.

يقول القاص – على لسان الراوي – و هو ينكت ببعض الرجال الذين يعيشون على هامش المجتمع لا رَأيَ لهم و لا شخصية ما تميزهم الشوارب و اللحى فقط:" يجب أن تعملوا يا سادة يا كرام أن الطين هو قطيع من رجال لهم أذرع و شوارب و لحي شبيهة بقنافذ، كما لا يخفى على مسامعكم أن الطين سائر في طريق النمو، يدخن، ينام، يتثاءب، و يقول شبعت..." [5]

يتندَّر القاص في هذا النص بهؤلاء الرجال، فيفضح حقيقة شخصيتهم من فقدان الإحساس بما يحدث وراءهم.

هذه الطريقة هي التي تحقق هدف السخرية، و هو النيل من كبرياء المسخور منه و الحط من شأنه و شخصيته و إسقاط قدره و قيمته. [6]

هي عبارات تلخص ما في قلب القاص من حسرة و ألم بسبب هؤلاء الأشخاص الذين أثَّروا على المجتمع و على الوطن ككل، استعملها القاص ليتخلص من ظروف معينة واجهته فتألم بها كثيرا.

1- ضيف شوقي، الفكاهة في مصر، ص:13 نقلا عن السخرية في الأدب الجزائري الحديث، ص:237.
2- أبو عيسى فتحي معوض، الفكاهة في الأدب العربي، ص:45.
3- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت ط: 6، 1997، مج:2، مادة: نكت، ص:101.
4- فريحة أنيس، الفكاهة عند العرب ، ص:19، نقلا عن السخرية في الأدب الجزائري الحديث، ص:237.
5- بوطاجين السعيد، ما حدث لي غدا، ص:108.
7- ينظر بوحجام محمد ناصر، السخرية في الأدب الجزائري الحديث، ص:239.

6- أسلوب التبكيت:

أسلوب يتفرع عن التنكيت و التندر، الذي يُعْمَدُ فيه إلى إفحام المخاطب و المتحدث إليه و الكشف عن زيف ما يدعيه و جرح كبريائه، بقرعه بالحجة، و إسكاته و تعنيفه بالكلام، من أمثلة ذلك ما أورده القرآن الكريم في قوله تعالى:" **وَإِذَا المَوْءُودَةُ سُئِلَت بِأيِّ ذَنْبٍ قُتِلَت...**[1]. في هذا السؤال تنكيت لوائدها..." [2]

و في السخرية هو: عبارة عن أسلوب يعتمد عادةً على التلميح و الإشارة و الرمز و اللجوء إلى التعبيرات و الجمل اللاذعة، هذه الجمل تكون كالحكم السائرة، و تتناول شخصا من الأشخاص أو مهنة من المهن بالنقد اللاذع المختصر، و يكون في صيغة (التعريف) و قد اشتهر كثير من أدباء الغرب بهذا النوع أمثال **برناردشو** و قد يستخدمون طريقة المقابلة، بدلا من التعريف كقولهم: في البلاد الشرقية لا يرى الزوج امرأته قبل الزواج، و في بعض البلاد الغربية لا يراها بعده..." [3]

حفلت الكتابة الإبداعية لدى السعيد بوطاجين بنماذج من هذا النوع، حيث اعتمدها في انتقاد بعض الأوضاع و بعض الأفكار والمهن بأسلوب مختصر، لنجده يقول في (**اللعنة عليكم جميعا**) على لسان الراوي :" السياسة فن الأغبياء و الطمَّاعين..." [4]

" السياسة هي الشيطان ذاته بربطة عنق و قصر عظيم..." [5]

و يقول أيضا:" السياسة ملجأ اللصوص و الكذابين و المهزومين و المحتالين و القتلة، السياسة من الكبائر، لا فرق بينها و بين أن تأكل لحم أخيك حيًا، التثاؤب أحسن، خاصة عندما يكون موزون مقفى..." [6]

تلك التعريفات الثلاث أراد القاص من خلالها أن يكشف الهدف من اللجوء إلى السياسة حسب اعتقاده، و هو الطمع و ليس الخوف على مصالح المواطن و بالتالي خدمته.

1- سورة التكوير، الأيتان:8- 9.
2- ابن منظور، لسان العرب، مج:2، مادة: بكت، ص:11.
3- نعمان محمد أمين طه، السخرية في الأدب العربي، ص:45- 46.
4- بوطاجين السعيد، اللعنة عليكم جميعا، ص:41.
5- نفسه، نفس الصفحة.
6- نفسه، نفس الصفحة.

أما في (**ما حدث لي غدا**) يقول القاص و هو يسخر من بعض النداءات و الأفكار :" كم من مرة يحب أن أفسر لجلالتك بأن الإمبريالية* هي حمص بالقرفة و آذان الحكام السطحيين..." [1]

هو تنكيت أراد القاص من خلاله أن يوجِّه نقدا لهذه النداءات من جهة و أن يتندر من أولئك الذين لا يُدْرِكُون حقيقتها من جهة أخرى فتظل سطحية الفهم بالنسبة لهم.

بالإضافة إلى ما سبق يقول القاص – على لسان الراوي – من نفس المجموعة و هو يتهكم و يسخر من التجارة:" التاجر لص في جلد عامل..." [2]

أراد القاص من خلال هذا القول أن يبرز جشع و طمع التجار.

من خلال ما سبق ذكره – حول أسلوب التنكيت – نقول إن بوطاجين لمس العديد من القضايا منها السياسية و الاجتماعية لكي يضعنا أمام الحقيقة مهما كانت.

لا يكتفي السعيد بوطاجين بالتلميح للسخرية، بل يتعداه إلى التصريح، ليسخر و يتهكم من الملوك و المسؤولين في الحكومة، و كل ماله سلطة في المجتمع، كما يسخر من الجميع، و من نفسه إن اضطرته الظروف.

يقول في الأولى في (اللعنة عليكم جميعا) على لسان أحد شخصيات القصة و هو **محمد عبد الله** الذي يسخر من الضابط و أتباعه في (**حد الحد**): " إلى الجحيم ذَهَبُكم و ملوككم و شَتْلتكم و صباحاتكم و تحياتكم ووعودكم المسيلة للقرف و صلواتكم الفاجرة و أنتم و عبقريتكم المفلسة و لا أدري إن كان عليَّ أن أضيف شيئا آخر..." [3]

كما يسخر من مستوى بعض الوزراء و الإداريين ليقول على– لسان الراوي – الذي يتحدث عن **المعلم** في (**37 فبراير**):" كان المعلم يسارر نفسه عابثا بما يرى و يسمع آلاف الإداريين و الوزراء لكتابة فقرة من الأخطاء..." [4]

---

*– هي سياسة توسيع السيطرة أو السلطة على الوجود الخارجي بما يعني اكتساب أو صيانة الإمبراطوريات، وتكون هذه السلطة بوجود مناطق داخل تلك الدول، وقد أطلق هذا التعبير في الأصل على بريطانيا وفرنسا أثناء سيطرتهما على إفريقيا ويعتبر لينن أن وجودها مترابط مع الرأسمالية لأنها تستخدم الدول المستعمرة على أنها أسواق جديدة .

1– بوطاجين السعيد، ما حدث لي غدا، ص:25.

2– نفسه، ص:64.

3– بوطاجين السعيد، اللعنة عليكم جميعا، ص:49.

4– نفسه، ص:57.

تصل السخرية ذروتها عندما يسخر من أحد المسؤولين في نفس القصة " الباش هراوة من دوار بني زبل الذي اشتهر بالنفاق المعشوشب..." [1]

يسخر أيضا من بعض الملوك و الحكام الذين يورثون الحكم لأبنائهم، ولا يهتمون بشؤون الشعب و الرعية: " إني أحتقركم واحد واحدا، وحذائي أفضل منكم و من أبنائكم الملوك بالوراثة..." [2]

من جهة أخرى يتهكم من دعاة الاشتراكية * و من مبادئهم، فيقول – على لسان الراوي – في **(وفاة الرجل الميت)** :" يقول الاشتراكيون و دعاة المساواة بين القمل و البطاطيس..." [3]

في نفس المجموعة يسخر القاص من السلطان و من مجموعة من المسؤولين فيقول في **(الوسواس الخناس)** :" السلطان اجتمع بزوجته و قرَّر محاربة نفسه..." [4]

يقول أيضا – على لسان عبد الوالو– أحد شخصيات قصة **(مذكرات الحائط القديم)**:" في مدينة الهذيان و الطمي و المواقف الهشة، تتناسل الأضرحة، يتوج السفلة ملوكا على صهوة التمرحل يقطعون نبع الثقة و يسرحون نحو النكران نكران الأحبة و حليب الأم..." [5]

بعد ذلك يسخر بوطاجين من مستوى بعض الساسة، فيقول: " كل ما في الأمر أني أتيت بخربشة لا تختلف عن مضمون فصاحة الساسة العرب الأشاوس..." [6]

أما في الثانية **السخرية من الجميع** و **من نفسه** يقول في **(اللعنة عليكم جميعا)** و هو يسخر من البشر – على لسان الراوي –:" بقدر ما أعرف البشر يزداد حبي لكلبي..." [7]

هي سخرية قد تنم عن تجربة مريرة مع البشر أو عن نفس ناقمة عن الكل.

1- بوطاجين السعيد، السابق، ص:60.
2- نفسه، ص:103.
*- مذهب غايته تغيير شكل المجتمع بجعل وسائل الإنتاج مشتركة وتوزيع الأموال على المجموع ، وتقسيم العمل المشترك ومواد الاستهلاك بين الجميع.
3- بوطاجين السعيد، وفاة الرجل الميت، ص:13.
4- نفسه، ص:38.
5- نفسه، ص:63.
6- نفسه، ص:115.
7- بوطاجين السعيد، اللعنة عليكم جميعا، ص:17.

يسخر أيضا من أولئك الموالين للحكام و الخاضعين لهم:" الإنسان الحقيقي مرآة للحق، و الجبناء و حدهم يرثون الخوف و يكنزونه كما يكنزون الذل للحفاظ على نفوسهم الكريهة، علهم يفوزون برضوان الملوك و اللصوص أجمعين..." [1]

يقول و هو يسخر من نفسه في (**ما حدث لي غدا**):" نظرت من حولي فلم أجد سوى كلب واحد اسمه سعيد..." [2]

كما يقول و هو يخاطب نفسه في (**سيجارة أحمد الكافر**):" في المساء جلست على طاولتي قرأت لم أر طيلة حياتي كاتبا أحمقا مثلك كأنك تفكر بالنخاع الشوكي أو بالبصلة السيسائية..." [3]

من خلال ما سبق ذكره حول أساليب السخرية في قصص السعيد بوطاجين نقول إنه أراد أن ينقل اهتمامه بمشاكل و أوضاع متعددة تتصل بالوطن و خارجه فاعتمد على مجموعة من الأساليب لأغراض متعددة؛ منها ما يتعلق بضرورة التوعية على أمل التغيير أو إثبات حقائق كانت مخفية عن الجميع، ومنها ما يبقى في إطار الترويح عن النفس من خلال التعبير عن خلجاتها.

1- بوطاجين السعيد السابق، ص:33.
2- بوطاجين السعيد، ماحدث لي غدا، ص:81.
3- بوطاجين السعيد، اللعنة عليكم جميعا، ص:154.

خاتمـــة

خـــــاتمـــة

في خاتمة هذه الدراسة يمكن أن نقول إن السعيد بوطاجين هذا القاص و الأديب، و الإنسان الساخر لاحظ مواضع الدَّاء في المجتمع فعمل جاهدا من أجل أن يُسْهم في تخليصه منها، و بتر مكامن الخطر فيها، فسخر من واقعه، و حاول تغييره، و سخر من عالمه، رفض واقع الذل و الاستسلام و الخنوع و التهميش، و سخر من كبار المسؤولين علَّه يحط و يقلل من شأنهم من ناحية ثم يدعو الشعب إلى النهوض ورفض سياسة القهر و الفقر من ناحية أخرى، و سخر من نفسه ليبث فيها القدرة على البقاء، و الاستمرار في سبيل الإصلاح و التقويم، و مع نهاية دراستي في النزعة الساخرة في قصصه يمكن حوصلة جملة من النتائج أهمها ما يلي:

أولا: إن السعيد بوطاجين تعامل مع المسخور منه من ناحيتين: من الخارج؛ أي الناحية الخَلقية و من الداخل؛ أي الناحية الخُلُقية، نظر إليه نظرة مدَقَّقة و مفحَّصة، فرأى انعكاس المنظر الخارجي على الداخلي، و بالتالي يكون قد أبرز العيوب الخارجية (الخَلقية) من أجل أن يبرز العيوب الداخلية (الأخلاقية) و في كل هذا لا يهدف إلى السب و الشتم بل ينوي طريق الإصلاح و التقويم .

ثانيا: لاحظ بوطاجين الواقع الذي كان يعيشه الفرد الجزائري في فترة ما من فقر وبطالة و خطر متربص به، فاتخذ من السخرية وسيلة للدعوة لتغييره.

ثالثا: عايش بوطاجين واقع تهميش المثقف و المبدع و عدم تقدير لعمله فأراد أن يضع لمسته في هذا المجال عن طريق ذلك الفن.

رابعا: اعتمد بوطاجين على عدة أساليب في سخريته، فوجدناه مرة يلمح و أخرى يصرح.

خامسا: لغة بوطاجين الساخرة، تتميز بالسهولة و الوضوح أحيانا، لاعتماده على الواقع بجميع مظاهره، و بالغموض أحيانا أخرى لعدم التجرد من ثقافته الواسعة.

سادسا: شخصيات بوطاجين مستوحاة من الواقع، تكاد تكون حقيقية.

سابعا: لم يتجرد بوطاجين من ثقافته الواسعة، فاستفاد من مجالات متعددة خاصة المجال التاريخي و المجال الأدبي اللذان استفاد منهما و سخَّرهما لخدمة سخريته.

ثامنا: السخرية في قصص السعيد بوطاجين متشعبة المقاصد و الأهداف؛ سخر من المسؤولين ليردهم إلى طريق الصواب، و سخر من الشعب ليوقظه، ومن ثم يدعوه للنهضة و التقدم، و سخر من نفسه عساه يستمر في طريقه نحو الإصلاح و التغيير.

أخيرًا، وقد انتهت هذه الدراسة على الانتهاء آمل أن أكون قد أجبت عن بعض التساؤلات التي طرحت في البداية، كما أرجو أن أكون قد أزلت بعض الغموض الذي كان يحيط بتلك المجموعات القصصية التي ما زال ينقصها المزيد من الاهتمام من طرف الباحثين و الدارسين خصوصا في مجال الأدب.

إن أصبت فمن الله، و إن أخطأت فمن نفسي و الشيطان، و الله حسبي و عليه التكلان.

قائمـــة المصـــادر والمـــراجع

قائمة المصادر والمراجع :

- القران الكريم برواية ورش.

المصادر:

1- بوطاجين السعيد، اللعنة عليكم جميعا، منشورات الاختلاف،ط:1، أكتوبر 2001.

2- بوطاجين السعيد، ما حدث لي غدا، منشورت الاختلاف، ط2، (د.ت).

3- بوطاجين السعيد، وفاة الرجل الميت، نشر رابطة كتاب الاختلاف ،ط:1، ماي2000.

المراجع:

1- الأبياري إبراهيم، الموسوعة الشوقية، جمع و ترتيب، (د.ط)،(د.ت).

2 - ابن الرومي، ديوانه، ج:2، بسبح أحمد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:1، 1994.

3- ابن الرومي، ديوانه، ج:3، بسبح أحمد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:1، 1994.

4- ابن المقفع عبد الله، كليلة ودمنة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، (د.ط)،(د.ت).

5- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، مج:2، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، ط:6، (د.ت) .

6- ابن منظور، لسان العرب، مج:6، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، ط:6، (د.ت) .

7- أبو عيسى فتحي محمد عوض، الفكاهة في الأدب العربي، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع (د.ط)،1969.

8- أحمد عطية الله، سيكولوجية الضحك، عيسى الحلبي،(د.ط)، 1967.

9-برجسون هنري، الضحك، تر: سامي الدروبي، وعبد الله الدايم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط:2، 1997.

10- بوحجام محمد ناصر، السخرية في الأدب الجزائري الحديث، مطبعة العربية،(د.ط)، 2004.

11- جرير، ديوانه، تح: البستاني كرم، دار صادر بيروت، دار بيروت للطباعة و النشر (د.ط)،1964م

12- الصاوي محمد اسماعيل عبد الله، شرح ديوان جرير، دار الأندلس للطباعة و النشر بيروت،(د.ط)،(د.ت).

13- ضيف شوقي، الفكاهة في مصر، نقلا عن الفكاهة في الأدب العربي، لفتحي محمد عوض أبو عيسى، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع (د.ط)،1969.

14- عبد الرحمان عبد الحميد علي، الأدب العربي في العصر الإسلامي و الأموي، دار الكتاب (د. ط)، (د. ت) .

15- العقاد عباس محمود ، مطالعات في الكتب و الحياة،المكتبة التجارية،ط:12، (د.ت).

16- عزام محمد، الأسلوبية منهجا نقديا، منشورات وزارة الثقافة دمشق، ط:1، 1989.

17- فاعور ياسين، السخرية في أدب إميل حبيبي، دار المعارف للطباعة و النشر ، سوسة، تونس (د.ط)،(د.ت) .

18- فراس عمر أسعد الحاج محمد، السخرية في الشعر الفلسطيني المقاوم بين عامي 1948م – 1993 م (أطروحة لنيل الماجستير في اللغة العربية بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين عام1998م – 1999م

19- فريحة أنيس، الفكاهة عند العرب، نقلا عن السخرية في الأدب الجزائري الحديث.

20- مرتاض عبد الملك ، معجم الشعراء الجزائريين، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر (د . ط) .

21- نعمان محمد أمين طه، السخرية في الأدب العربي، دار التوفيقية للطباعة بالأزهر، ط:1 1398ه- 1978م .

22- المنجد في الأعلام، دار المشرق، بيروت، ط:13، 1984.

المراجع الالكترونية:

1- www.metronsporent.net

2- www.soufroum.com

3- www.ofouq.com

4- ar.wikipidia.com

5- saadimounir.jeeran.com

6- forum.stop55.com

7- ar.wikipidia.org

8- www.aldiwan.org

9- Sebgag.fis.us/news

المجلات واللقاءات:

1- مراسلة خاصة مع القاص يوم 2010/05/18.

2- مجموعة من الأساتذة والباحثين، النص و الظلال، فعاليات الندوة التكريمية حول الدكتور السعيد بوطاجين، جوان2009، دار الأمل للطباعة و النشر و التوزيع، مدوحة تيزي وزو.

فهرس
الموضوعات

الفهـــــــــــرس

مقـــــدمة..... أ

الفصل التمهيدي .

1- مفهوم السخرية (لغة واصطلاحا)..... 08

2- أسبابها..... 15

3- أساليبها..... 17

4- وظائفها..... 26

5- المرجعية الثقافية للسعيد بوطاجين..... 30

الفصل الأول : مضامين السخرية في قصص السعيد بوطاجين

1- المضمون الجسماني..... 38

2- المضمون الاجتماعي..... 43

3- المضمون الثقافي..... 50

4- المضمون السياسي..... 54

5- المضمون النفسي..... 58

الفصل الثاني : أساليب السخرية في قصص السعيد بوطاجين

1 – الأساليب البلاغية..... 62

أ- الاستفهام..... 62

ب- الأمـــر..... 66

ج- النفـــي..... 66

د- التشبيه و تأكيد الذم بما يشبه المدح..... 67

2- التصوير الكاريكاتوري..... 70

3- التعريض..... 74

4 – المفارقة..... 78
5- التنكيت والتندر..... 82
6-التبكيت..... 83
خاتمـــــة..... 88
قائمة المصادر و المراجع.....91